ساعدت جامعة بغداد على نشره

محاضرات في تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية

الدكتور عبد الله فياض

استاذ مساعد بكلية التربية - جامعة بغداد
ومحاضر بكلية أصول الدين - بغداد

الطبعة الاولى

الثمن نصف دينار

مطبعة الارشاد ١/٢٠٠٠/١٩٦٧
١٣/١٠/١٩٦٧

ساعدت جامعة بغداد على نشره

محاضرات في تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية

الدكتور عبد الله فياض

استاذ مساعد بكلية التربية ـ جامعة بغداد
ومحاضر بكلية أصول الدين ـ بغداد

الطبعة الاولى

الثمن نصف دينار

مطبعة الارشاد ـ بغداد
١٩٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

استهدفت من وضع كتابي هذا تيسير المراجعة على الطلاب من جهة ، وتجنيبهم مشقة كتابة المحاضرات اثناء القائها في قاعات الدرس من جهة اخرى . واسميت الكتاب المذكور « محاضرات في تاريخ صدر الاسلام والدولة الاموية » . ويترتب على ذلك انني لا انزل كتابي هذا منزلة الكتب التي تناولت موضوعه بصورة مفصلة ومتقنة . وبالرغم مما سبق ارجو ان يجد فيه القارىء ما يفيد .

وتوخيت في « المحاضرات » التي اقدمها للقارىء الكريم معالجة التاريخ السياسي للفترة موضوع البحث ، دون ان اهمل تاريخها الفكري والاقتصادي .

وقد توسعت في بعض اجزاء الكتاب ، واقتضبت في البعض الآخر تبعا لمتطلبات المنهج المقرر وحاجة الطلبة في كلية التربية من جامعة بغداد .

وختاما ارجو من القارىء الكريم ان يتفضل علي بملاحظاته وتعليقاته التي ارجو ان اهتدي بها لتصحيح ما ارتكبته من اخطاء دون قصد والله ولي التوفيق .

بغداد ـ الثاني من ايلول ١٩٦٧ — **الدكتور عبدالله فياض**

الفصل الأول

بلاد العرب وسكانها قبيل ظهور الأسلام

بلاد العرب او جزيرة العرب عبارة عن سطح تحيط به الجبال البركانية من الغرب والجنوب وينحني قليلا نحو الخليج العربي وسهول الفرات ، وتعادل مساحته تقريبا ربع مساحة اوربا . واورد الدكتور جواد علي في الجزء الاول من كتابه الموسوم بـ « تاريخ العرب قبل الاسلام »

معلومات مفصلة عن جغرافية بلاد العرب وعن سكانها(١) . ونشأت امارات عربية خاضعة لنفوذ الفرس والبيزنطيين على الحدود الشرقية والشمالية لبلاد العرب . وتضم بلاد العرب الغربية منطقتين رئيسيتين هما :

اليمن والحجاز .

واليمن او « البلاد السعيدة » كانت في جميع العصور مشهورة بثروتها وخصبها . وتدل آثار اليمن على ماضيها السياسي والأقتصادي اللامعين . وقد دلت ابحاث نيوبهر Niebuher وفورسكال Forskal وجوزيف هاليفي **Halevy** على ان حضارة عظيمة قامت في بلاد اليمن والمناطق المجاورة لها على الشاطيء الجنوبي لبلاد العرب . وعاشت في اليمن اقليات يهودية ومسيحية كبيرة العدد ، كما تعرض اليمن لغزو الاحباش والفرس قبل ظهور الاسلام بقرن واحد تقريبا .

اما الحجاز فهي بلاد وعرة ، وبخاصة بالقرب من مكة التي تقع على بعد خمسين ميلا من شواطيء البحر الاحمر . ونحو من ثلاثين ميلا من

---

(١) طبع الكتاب المذكور ببغداد سنة ١٩٥٠م .

روابي « جبل القرى » الصوانية • ويجد المرء في الحجاز الصخور الجرداء التي تعكس اشعة الشمس الملتهبة ، والأودية المجدبة الا من قليل من الكلاء الذي ينبت في بعضها ، والذي ترعاه الانعام في بعض فصول السنة • غير انه الى الشرق من هذه البلاد الجرداء ، توجد بقعة مزدهرة مكسوة بالخضر والاشجار الوارفة الظلال ، ينبت فيها التفاح والتين والرمان والخوخ والعنب بكثرة ، وتعرف بالطائف • ويطلق اسم « تهامة » ، وهي بلاد كثيرة الرمال ، على سهول الحجاز واليمن ، وهو يطلق احيانا على القسم الجنوبي من الحجاز •

وتتكون المنطقة المحيطة بيثرب من ارض بركانية ذات خصوبة كبيرة ، ويعدّ النخيل من اشهر محصولاتها •

وفي شمال الحجاز يمتد طريق تجاري على طول البحر الأحمر من خليج العقبة الى المدينة •

مدن الحجاز :

قامت في الحجاز مجموعة من المدن من اهمها مكة ويثرب وينبع وخيبر والطائف •

مكة :

كانت مكة مدينة مهمة لأنها تكونت حول نقطة مياه • والمياه ، كما هو معلوم ، عنصر حيوي في البلاد ذات الجفاف الدوري الطويل امثال الحجاز • ويضاف الى هذا الماء (بئر زمزم) وجود معبد مقدس هو الكعبة • وكانت طرق القوافل تمر بمكة بحكم الطبيعة • واصبحت مكة بسرعة مكانا لأهم الأسواق الوثنية الكبيرة التي كانت تعقد بالقرب منها حيث يجتمع الحضر والبدو اثناء الأشهر الحرم التي يمتنع فيها الغزو • وحصل

ان سيطر العرب على طريق التجارة في غرب بلاد العرب خلال النصف قرن الذي سبق ظهور الأسلام • وقد يكون مرد ذلك الى نشوب الحرب بين الفرس والبيزنطيين ، وما تبع ذلك من عرقلة طرق التجارة عبر العراق • ويصعب علينا ، نظرا لندرة المصادر ، ان نقرر متى اصبحت التجارة عاملا مهما في حياة مكة ، ومع ذلك يمكننا ان نقرر بأن اعتماد اهل مكة في الفترة التي سبقت الأسلام اصبح على التجارة اكثر منه على الأقتصاد البدوي • وهذا لا يعني ان اهل مكة جميعهم تركوا حياة البداوة • اذ كنا نجد كثيرا منهم يسدّ متطلبات حياته من قطعان الأبل ، كما ان قسما منهم يعيش على ما يكسبه من اجرة الأبل التي تحمل التجارة من اليمن الى موانىء البحر المتوسط وبالعكس • وصحب بروز التجارة ، كعامل رئيس في حياة مكة ، تغير في العلاقات الأجتماعية للمكيين• وكان من بين مظاهر التغير الأجتماعي المذكور هو ان تضامن الجماعة في مكة اصابه وهن • اذ ان التضامن اللازم لحياة المجتمعات البدوية لم يعد ضروريا في مكة • واصبح تجار مكة يعملون على تحقيق مصالحهم التجارية بصورة اقوى مما يعملون على جلب رضا الأفراد من اهل مكة • يضاف الى ذلك ان الملكيات الجماعية تقلصت ، ولم يعد التجار يولون عناية بالضعفاء من المجتمع المكي • وبالرغم من ان مسؤولية الدفاع عن المدينة وحفظ مصالحها ، تقعان على كاهل المكيين جميعهم ، كما حصل في معركة بدر مثلا ، فأن الأرباح كانت تنحصر في يد الأغنياء • ويبدو ان نوعا من النزاع الناتج عن اختلاف المصالح قد حصل في مكة • وحصل النزاع المذكور بين كبار الأغنياء وبين ذوي الدخول المعتدلة • واتخذ الأغنياء ثروتهم بمثابة ضمان لهم ، بينما شعر الآخرون بأنهم لا ضمانِ لهم لفقدان الأحساس بمصلحة الجماعة من جهة ، ولضعف

قوة الأعـراف التقليدية من جهة اخـرى • واخذ تجـار قريش يولون الروابط المادية التي تربط بينهم اهمية كبرى • وعرفت قريش بالحلم ، وكانوا على ما يظهر يعيرون الاعتبارات العملية عناية اكبر مما يعيرون دوافع العاطفـة •

وبالرغم من ان مكة كانت تستند في اوضاعها الأجتماعية والسياسية الى التقاليد القبلية ، فأن نظام المشيخة ، الشائع في الأقسام الصحراوية من بلاد العرب ، اخذ يضعف فيها • وكان الملاء ، او مجلس اعيان مكة ، يتمتـع بنفوذ كبير • والملاء في مكة يختلف عن مجالس القبائل بوضعه واتجاهاته •

وكانت العصبية معروفة في مكة ، ولكنها تتركز حول الأفخاذ بحيث اصبحت عصبية الأفخاذ ابرز من العصبية العامة • وضعف الروح العسكري في مكة فأخذ اهلهـا يستخدمون الأحابيش والأعـراب لحماية قوافلهم • ومن الملاحظ ان النزاع الذي مزق يثرب ، كما سنرى ، لم يكن معروفا في مكـة •

يثـرب :

تقع مدينة يثرب في سهل بركاني خصـب لـذا كانت الزراعة اهم موارد المدينـة المذكورة • وترتب على ما سبق ان اصـبحت تجـارة المواد الغذائية من اهم الأعمال الأقتصادية لسكان يثرب • وكانت الأغلبية العظمى من سكان يثرب تتكون من قبائل الأوس والخزرج • اما بقية السكان فكانت من اليهود ، ومن اشهر قبائلهم بنو النضير وقريظة وبنو قينقـاع • وكـان العـرب واليهود يسـهمون في الحيـاة السياسـية ليثرب • وكانت الأوس والخزرج اهل عزة ومنعة في بلادهم حتى كانت بينهم الحروب التي افنتهم في ايام لهم مشهورة • ومن اشهر ايامهم او حروبهم يوم حضير الكتائب ويوم اطم بني سالم ويوم بعاث • وقـد ضـعف الأوس والخزرج نتيجـة

للحروب المذكورة واجترأت عليهم بنو النضير وقريظة وغيرهم من اليهود[1] •

واخذت النظم البدوية تضعف في يثرب خلال الفترة التي سبقت ظهور الأسلام • ونتيجة لذلك تحولت يثرب الى منطقة زراعية مستقرة • وكان كثير من الأراضي بيد اليهود ، الأمر الذي مكنهم من الوقوف بوجه الأكثرية العربية من اهل يثرب • يضاف الى ذلك ان جماعات من الأفخاذ العربية الصغيرة التي تملك قطعاً من الأرض داخل الأملاك اليهودية الكبيرة اصبحت بحكم مصالحها الأقتصادية تابعة وحليفة لليهود • وكان بنو قينقاع حلفاء الخزرج ، والنضير وقريظة حلفاء الأوس وكان فخذ سليمة اشد مقاومة لليهود من غيره من الأفخاذ العربية ، ويعزى ذلك الى الرغبة في التخلص من نفوذ اليهود الأقتصادي من جهة والى تحالف قريظة وبني النضير مع اعداء سليمه من العرب من جهة اخرى • ويمكن ان يفسر موقف سليمه المؤيد للأسلام فيما بعد على ضوء رغبتهم في الاستعانة بقوته ومبادئه على التخلص من سيطرة اليهود •

وقد حاول عمرو بن النعمان ، احد زعماء الخزرج في يثرب ، اقصاء بني النضير وقريظة من يثرب ولكنه فشل لقساوته ولاندحاره في معركة بعاث المشهورة • وقد برز عبدالله بن ابي في يثرب قبيل ظهور الأسلام ، ونال تأييد عدد كبير من العرب واليهود من سكانها بحيث اصبح مرشحا لأن يكون ملكا على يثرب لولا ظهور الأسلام فيها •

وقد امتنع عبدالله بن ابي عن اعتناق اليهودية ، وربما يفسر امتناعه هذا بخوفه من ان ينال رجال الدين اليهود قوة سياسية •

---

(١) اليعقوبي ، التاريخ ، ج٢ (النجف ، ١٣٥٨هـ) ص٢٧ •

الوثنية العربيـة :

لقد عبد العرب في الجاهلية آلهة متعددة . وظهر من الكتابات التي عثر عليها في بلاد العرب الجنوبية ان عبادة القمر الأله الذكر ، قد رجحت على عبادة الشمس الأله الأنثى . وكانت الآلهة عشتار وسين ونكروح تذكر بالآلهة البابلية عشتار وسين ومكرو .

وعبد العرب الأصنام ونصبوها حول مكـة . ويرى الكلبي ان اهل مكة اقتبسوا عبادة الأصنام من الشام(١) . ومن اشـهر اصـنامهم سـواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر ، ورئام . وقد ورد ذكر كثير من اصـنامهم في القرآن الكريم : « قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده مالـه وولده الا ّ خساراً ومكروا مكراً كبّاراً وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ّ ود ّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد اضلوا كثيراً ولا تزد الظالمين الا ّ ضلالا » .

ومن اصنامهم مناة واللات والعز ّى وهبل . وكان العرب يعظمون اصنامهم ويذبحون لها ويهدون لها(٢) . وقد ورد ذكرهـا في القرآن(٣) ايضاً . واعتاد عرب الجنوب ان يكرموا آلهتهم باحراق العطور على مذبح الآلهـة .

ويضاف الى عبادة الأوثان عبـادة الأمـوات ، والأجداد منهم بشكل خاص . وكان البدو يعتقدون بخلود النفس . ويبدو ان العاطفة الدينية كانت اكثر حياة عند عرب الجنوب منها عند عرب الشمال . ومع ذلك فأن هؤلاء كانوا يقولون ان الموت لا يحدث انفصالا مباشرا بين الجسم والروح

---

(١) الكلبي ، هشام بن محمد ، الأصنام ، القاهرة ، ١٩١٤ ، ص٨ .
(٢) الكلبي ، المصدر السابق ، ص١٣ .
(٣) السور ـ ٧١ ، ٢٢ ـ ٢٣ ، ٥٣ ، ١٩ ـ ٢٠ .

فقد كانوا يتخيلون الميت يغفو بهدوء في مقـره المظلم ويتمتع بعض الوقت بوعي نصفي • والنسـاء بغنائهن وهتافهن الحاد يردن ايقاف الروح التي تتعجل التخلص من الجثة • اما الرجال فكانوا يعدون الميت بأخذ الثأر • ويعدّ البدو الوثنيون الثأر واجباً دينياً • ويحتل الثأر مكانا هاما في مجموعة المفاهيم المتواضعة (دين العرب) التي غذت حياة البدو الأخلاقية والدينية الفقيرة قبل الأسلام •

وكان جماعة من عرب الشمال يعبدون الأنصاب والحجارة المرفوعة • وكانت هذه الأنصـاب تكرم في طـواف دوري • وكـانوا يطوفون حول الأنصـاب ويلمسـونها اكتساباً لشيء من القدرة التي تحتويها ، وهـذه الأنصاب تكون في الغالب مزدوجة (اساف ونائلة واللات والعزى) • وقد حرم الأسلام الذي اكد على الوحدانية فيما حرم من طقوس وثنية عبادة تلك الانصاب • وتكون الأنصاب ثابتة او منقولة : ففي الحالة الأخيرة تتبع تحركات القبيلة وتلعب في المعارك دور الحامي • وحول هذا الحامي كهنـة وعلى الخصوص ساحرات يقرعن الطبول ويهتفن بعبارات مقفاة ذات ايقاع ووقع متنافر سريع ويتبعها عزائم سحرية • وقد قاوم الأسلام بشدة هؤلاء الكهنة وقارعات الطبول وعدّ ذلك من عمل الشيطان •

وكان جماعة من العرب على دين ابراهيم الحنيف ، ويعظمون البيت الحرام فيطوفون حوله ويقفون على عرفة •

وقد نظر محمد (ص) الى دين ابراهيم على انه هو الدين الأسـاسي والفطري في الوقت نفسه ، وما الأديان الأخرى سوى دلالات عليه ، وانه هو اساس التوحيد •

الحالة الثقافية في الحجاز قبيل الاسلام

قد يكون من الضروري ان نشير هنا الى ان المصادر المتوفرة لدينا عن العهد الجاهلي قليلة جدا ، ولهذا لا يستطيع الباحث ان يطمأن الى كل ما يتوصل اليه من نتائج في هذا الموضوع • وقد جابه هذه المشكلة كثير ممن بحثوا في حياة عرب الجاهلية[١] • ونعتقد ان ندرة مصادر العهد الجاهلي ناتجة عن الاسباب التالية :ـ اولا ـ ان الكتابة في ذلك العهد كانت قليلة الانتشار ، وكان من نتيجة ذلك ان انعدمت المدونات التي تعود لهذا العصر ما عدا مجموعة من النقوش المبعثرة عثر عليها في بعض نواحي الجزيرة كاليمن وبلاد الانباط وتدمر وغيرها • ويظهر انه لم تجر تنقيبات حديثة في الحجاز ، وبالتالي لم يسعفنا هذا المصدر بشيء ذي اهمية عن الحياة الثقافية في هذه البلاد • ثانيا ـ ان كثيراً مما سجل عن التراث الثقافي لعرب الجاهلية ، رغم تأخره في الزمن حيث انه يعود للقرنين الثاني والثالث للهجرة ، قد تعرض ، كما تعرض التراث الثقافي الاسلامي عامة ، للتلف والضياع على ايد التتر في الشرق والاسبان والنورمانديين في الغرب • وقد يقدر القارىء مبلغ الضرر الذي اصاب التراث الثقافي من جراء ضياع المخطوطات اذا علم ان ذلك حصل في عهد لم تكن فيه الطباعة معروفة ، ومن ثم فأن ما تلف من مخطوطات نادرة لا يمكن تعويضه باية وسيلة كانت • ثالثا ـ ان معظم الكتاب المسلمين وجهوا جل اهتمامهم لتدوين الحضارة الاسلامية ، ولم يولوا تراث العرب الثقافي في الجاهلية ما يستحق من

---

(١) انظر في هذا الصدد :
Lewis, B., The Arabs in History, New York, 1950;
العلي ، صالح احمد ، محاضرات في تاريخ العرب ، بغداد ، ١٩٥٢ ؛ الهاشمي علي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، بغداد ، ١٩٦٠ •

الاهتمام ، يضاف الى ذلك ان هؤلاء المتعصبين على الجاهلية تنكروا ل « ديانات الجاهلية ، وعملوا على محو آثارها وتعاليمها ••• والاشعار التي قيلت فيها ، وكل شيء يمت اليها بسبب ، فأذا اردنا ان نعرف شيئا من ذلك عز علينا ، ولم نظفر منه بطائل »[1] • والواقع ان معظم ما سجله لنا المؤرخون المسلمون عن الجاهلية ما هو الا اشارات مقتضبة لا تمكن الباحث الحديث من رسم صورة واضحة لما بلغه المجتمع العربي ، وخاصة في الحجاز ، من تقدم في مضمار الثقافة •

وبالرغم مما سبق نرجو ان يكون فيما نورده هنا من آراء ، وما نسجله من معلومات ، ما يساعد على ازالة بعض ما يكتنف هذه المشكلة من غموض وما يحيط بها من ملابسات •

كانت الحجاز في العهد الجاهلي متصلة بمراكز الحضارة العالمية ، كالشام واليمن والحيرة • ويظهر ان الحيرة كانت من المراكز الحضارية الهامة في هذه الفترة وان اهلها بلغوا درجة كبيرة من الرقي والرفاه •

اما من الناحية الثقافية فقد قطعت الحيرة شاؤا بعيدا في هذا المضمار ، اذ كان اهلها يدونون اخبار ملوكهم « في كنائسهم واسفارهم • »[2] ويظهر ان الثقافة غير منحصرة في رجال الدين حيث كان اهل الحيرة يرسلون ابناءهم الى الكتاب يعلمونهم القراءة والكتابة العربية ، كما كان بعضهم يختلفون الى الكتاتيب الفارسية[3] • وعندما شعر المنذر برغبة ولي العهد بهرام في اكتساب العلم ارسل « من اتاه برهط من فقهاء الفرس ومعلمي الرمي والفروسية ومعلمي الكتابة ••• وجمع له حكماء من حكماء فارس ومحدثين

---

(١) الهاشمي ، المصدر نفسه ، ص٦ •

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج١ ، القاهرة ، ١٩٣٩ ص ٤٥٠ ـ ٤٥١ •

(٣) الاصفهاني ، الاغاني ج٢ ، القاهرة ١٣٢٣ ، ص١٩ •

من العرب ••• »[١] ومن هذا يظهر ان الحيرة كانت على درجة لا يستهان بها من الرقي المادي والفكري • وبعد هذا نقول ماذا نقل اهل الحجاز من الحيرة ؟ يظهر ان الخط العربي ، كما تشير المصادر العربية المتوفرة لدينا ، من اهم ما نقل من الانبار والحيرة الى مكة • فذكر ابن النديم ان نفرا من اهل الانبار من اياد القديمة وضعوا حروف الالفباء العربي ، وان هذه الكتابة انتقلت من الانبار الى الحيرة • وقد ورد ذكر اياد هؤلاء بأبيات من الشعر يستدل منها على اهتمامهم في الكتابة :

قومي اياد لو انهم امم　　　اؤ لو اقاموا فتهزل النعم
قوم لهم ساحة العراق　　　اذا ساروا جميعا والقط والقلم[٢]

ويوضح البلاذري كيفية نشوء الهجاء العربي في الحيرة بقوله : اجتمع نفر من طي فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية فتعلمه قوم من الانبار ثم نقل الى الحيرة ومنها نقله بشر بن عبدالملك النصراني وعلمه لاهل مكة[٣] • ويؤيد ابن النديم انتقال الكتابة من الحيرة الى قريش[٤] •

ورغم تأكيد المصادر العربية على نشوء الخط العربي في الانبار ثم الحيرة فان الكشوف الحديثة تشير الى ان الخط العربي مشتق من الخط النبطي ، وان النقوش التي عثر عليها في منطقة النمارة بشرق الأردن تؤيد ذلك • ولا يهمنا هنا المصدر الذي تعلم منه اهل الحجاز الخط العربي ، بل الذي يهمنا بالدرجة الاولى وجود الخط وانتشاره في الحجاز وخاصة في حواضره المهمة مثل مكة والمدينة ووادي القرى •

---

(١) الطبري ، ١ : ٥٠٢ •
(٢) ابن هشام ، السيرة ، ج١ القاهرة ، ١٩٣٧ ، ص٤٨ •
(٣) فتوح البلدان ، الطبعة الاوربية ، ص٤٧٦ ـ ٧ •
(٤) الفهرست ، القاهرة ، ١٩٢٩ ، ص٧ •

ويبدو ان انتشار الكتابة في مكة قبيل ظهور الاسلام كان اوسع بكثير مما تصوره لنا المصادر العربية ، فالبلاذري يقول ان الاسلام دخل « وفي قريش سبعة عشر رجلا كلهم يكتبون ... »(١) ويجعل القلقشندي عدد الذين يكتبون « بضعة عشر »(٢) . ويظهر ان هذه الروايات غير دقيقة للأسباب الآتية : اولا ـ ان مكة مدينة تجارية ووجود عدد كبير ممن يستطيعون القراءة والكتابة امر ضروري لكل مجتمع تجاري . ولا نرى ضرورة للتدليل على اهتمام اهل مكة بالتجارة لان المكيين احتفظوا بتقاليدهم التجارية حتى بعد نزوحهم الى المدينة عندما هاجروا اليها بعد ظهور الاسلام ، حيث « كان يشغلهم الصفق بالاسواق عن سماع الحديث »(٣) . ثانيا ـ ان وجود اشارات في القرآن الكريم لمواد الكتابة كالقلم والقط وكاتب ، وضرورة كتابة عقد الدين ، يدل على ان المجتمع المكي كان يعرف هذه المصطلحات ويألفها .

ثالثا ـ كانت قريش تعتبر من يعرف الكتابة والقراءة من الكملة(٤) فليس من المحتمل ان يكون الكملة في المجتمع القرشي سبعة عشر نفرا فقط عند ظهور الاسلام .

رابعا ـ لقد وجد بين قريش من يعرف غير الخط العربي حيث كان ورقة بن نوفل ، وكان ذا علم من اهل النصرانية(٥) « يكتب الكتاب العبراني، فيكتب بالعبرانية من الانجيل ما شاء ان يكتب ... »(٦) .

---

(١) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص٤٧٦ ـ ٧ .
(٢) صبح الاعشى ، ج٣ ، القاهرة ، ١٩١٧ ، ص١٥ .
(٣) العسقلاني ، ابن حجر ، شرح البخاري ، ج١ ، القاهرة ، ١٣٢٥ ص١٥٣ .
(٤) البلاذرى ، نفس المصدر ، ص٤٧٤ .
(٥) الطبري ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣٣ .
(٦) الاصفهاني ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص١١٤ .

ويظهر ان الانشاء العربي ومفردات اللغة قد بلغت درجة كبيرة من الرقي في هذا الدور اذ ان ورقة بن نوفل نفسه قد استطاع ان يترجم التوراة الى العربية في العهد الجاهلي[١] .

خامسا ـ ان وجود عدد من المتعلمات بين المكيين يدل على ان معرفة الكتابة لم تقتصر على بعض رجال قريش بل كان بين النساء من يتقنها .

ووجد من بين النساء من يقرأن الكتب مثل فاطمة بنت مر التي كانت « امرأة متهودة قد قرأت الكتب »[٢] . وكانت الشفاء كاتبة في الجاهلية وكذلك كانت حفصة بنت عمر ، وان ام كلثوم بنت عقبة كانت تكتب . أما عائشة وام سلمه فكانتا تقرآن ولا تكتبان[٣] . ولما دخل عمر بن الخطاب على بيت اخته وجدها وزوجها يقرأن سورة طه . وكان عمر يقرأ الكتب فقال اعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فاقرأه[٤] .

سادسا ـ لقد وردت اشارة في البلاذرى يستدل منها على وجود مؤسسات للتعليم الاولى في الحجاز . فيروى ان رجلا اتى وادى القرى « فاقام بها وعلم الخط قوما من اهلها »[٥] . ويعتقد الاستاذ حميد الله ان نوعا من الكتاتيب للتعليم المختلط كانت موجودة في جوار مكة . وان امرأة من قبيلة هذيل كانت تفتخر بأنها كانت شغوفة بغمس الاقلام في المحابر واخراجها منها عندما كانت تحضر امثال هذه الكتاتيب[٦] . ومن

---

(١) انظر :
Hamidullah, M., "The Educational System in the time of the Prophet," Islamic Culture, Vol. 13, No. 1. Janury. 1939, P. 50.

(٢) الطبري ، ج٢ ، ص٦ .
(٣) البلاذري ، المصدر السابق ، ص٤٧٧ .
(٤) ابن سعد ، الطبقات ، ج٣ ، الطبعة الاوربية ، ١٣٢٢ ، ص١٩٢ .
(٥) فتوح البلدان ، القاهرة ، ١٩٠١ ، ص٤٧٧ .
(٦) انظر : Hamidullah, Op. Cit, XIII, P. 50.

هذا يظهر ان مؤسسات للتعليم ، على قلتها وبساطتها ، كانت موجودة في الحجاز حول مكة • اما وجودها في المدينة فهو امر اكيد لوجود اليهود في يثرب وهم ذوو تقاليد ثقافية لانهم كموحدين لابد ان يوجد بينهم من يعلم الكتاب المقدس وشروحه ، يضاف الى ذلك أن اشارات قد وردت عن وجود بيت المدراس وهو المحل الذي يعلم فيه الكتاب المقدس وشروحه[1] • ونعتقد ان الكتابة كانت منتشرة في الحجاز بين عدد كبير من السكان ، وكان اهل مكة « يؤرخون في كتبهم وديونهم من سنة الفيل ••• »[2] ، وان الشخص الذي اشار اليه البلاذري في النص السابق واعتبره اول من اتخذ تعليم الخط مهنة له في جزيرة العرب لا يمكن ان يكون الاول ولا الوحيد لان الخط صناعة حضرية كما يقول ابن خلدون فلابد من وجود وتعدد امكنة تعليمه بين أهل الحجاز لان معظم سكانه ، وخاصة اهل مكة ويثرب ، من الحضر[3] •

ويبدو انه رغم وجود اليهود في يثرب ، فأن الكتابة في مكة كانت اكثر انتشارا لان اهل مكة ، كما يقول ابن سعد ، يكتبون واهل المدينة لا يكتبون[4] • ونعتقد ان سبب ذلك يعود بالدرجة الاولى الى ان مكة كانت بواد غير ذي زرع وان امتهان اهلها التجارة جعلهم يهتمون بتعليم الخط لانه من مستلزمات مهنتهم •

واما اهل يثرب فكانوا يمتهنون الزراعة في الغالب لخصوبة ارضهم ووفرة المياه اللازمة لاروائها لذا كان اهتمامهم في تعلم الخط اقل من اهتمام اهل مكة رغم وجود اليهود بينهم • ويظهر أن تأثير اليهود الثقافي كان محدودا ومنحصرا في الدوائر اليهودية ولم يعم جميع سكان يثرب والمناطق المجاورة لها •

---

(١) انظر : Hamidullah, Op. Cit, P. 50.

(٢) الازرقي ، تاريخ مكة ، القاهرة ، ١٣٥٢ ، ص٩٦ •

(٣) المقدمة ، القاهرة ، ١٩٣٠ ، ص٣٩٤ •

(٤) الطبقات ، ج٢ ، ص١٤ •

ولم تقتصر ثقافة اهل الحجاز قبيل الاسلام على تعلم الخط بل وجد بينهم من عرف بـ « الحكم والعلم » كهرم بن قطبة ، وحمزة بن ضمرة الذي كان خطيبا وشاعرا وسلمه بن الخرشب ، الذي قال سهل بن هارون عندما سمع كلامه من الجاحظ : « والله لكأنه قد سمع رسالة عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري في سياسة القضاء وتدبير الحكم ... »[1] . واعتقد ان التدقيق يقتضي بأن نقول ان عمر بن الخطاب ربما تأثر في آراء سلمة بن الخرشب لان عصره سابق لعصر عمر .

والى ما سبق ذكره نقد ظهر في قريش جماعة « كانوا رواة الناس للاشعار وعلماءهم بالانساب والاخبار » . ومن هؤلاء مخرمة بن نوفل ، وابو الجهم بن حذيفة ، وحويطب بن عبدالعزى ، وعقيل بن ابي طالب[2] .

ويظهر ان جماعة ممن عرفوا بالعلم والثقافة كانت موجودة بمكة قبيل ظهور الاسلام فيروى اليعقوبي ان ابا طالب عندما اخبره اصحاب الكتب بدنو بنوة محمد (ص) شاور « من كان بمكة من اهل العلم »[3] حول هذا الموضوع .

وكان للعرب في الجاهلية مواضع يجتمعون بها تسمى الاسواق ، وكانت اسواق العرب عشرة اسواق « يجتمعون بها في تجاراتهم ويأمنون فيما على دمائهم واموالهم »[4] .

ولعل اهم هذه الاسواق هو سوق عكاظ الواقعة بأعلى نجد وتحضرها قريش وسائر العرب « وبها كانت مفاخرة العرب وحمالاتهم

---

(١) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١ ، القاهرة ، ١٩٢٨ ص٣٣٧ ـ ٣٨ .

(٢) الجاحظ ، المصدر السابق ، ٢ : ٣٢٣ ـ ٢٤ .

(٣) اليعقوبي ، التاريخ ، ج٢ ، النجف ، ١٣٥٨ ، ص١١ .

(٤) اليعقوبي ، التاريخ ، ج١ ، ص٢٢٦ .

ومهادناتهم »[1] .

ومن هـذا يظهر ان سوق عكاظ كان بمثابة مؤتمر ادبي للعـرب ينشدون فيه اشعارهم ويتبارى فيه خطباؤهم ويعالجون المواضيع التي تتناول مشـكلات عصرهم . ويعتقد الاستاذ حميد الله ان سوق عكاظ كان ذا اهمية كبيرة في تنظيم لغة العرب وتوحيدها[2] . وقد يكون لهذه المؤتمرات الادبية اثرها في توحيد اللهجات العربية وايجاد لغة ادبية تستعملها اكثرية العرب ، وربما كانت هذه اللهجة هي لهجة قريش التي كتب لها أن تنتصـر وتعم بعد ان نزل فيها القرآن الكريم .

ولم تكن هذه الاسواق هي الوحيدة التي تقوم مقام المؤتمرات الادبية بل ان بعض الاشخاص كانوا يعقدون امثال هذه المؤتمرات والاجتماعات في مدنهم او بيوتهم الخاصة . ويروى ان غيلان بن سلمه الثقفي كان يعقد اجتماعا اسبوعيا تلقى فيه القصائد وتجرى فيه المناقشات الادبية[3] .

اما الشعر العربي في هذه الفترة التي هي مدار بحثنا ، فقد بلغ درجة كبيرة من النضج ، ويمكن ان يتخذ دليلا واضحا على رقي ثقافة المجتمع الذي انتجه . وفن الشعر ، كما يقول ابن خلدون « من بين الكلام كان شريفا عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم واخبارهم وشاهد صـوابهم وخطائهم واصلا يرجعون اليه في الكثير من علومهم وحكمهم وكانت ملكته مستحكمة فيهم ... »[4] .

ولا نرى ضرورة للتفصيل في مقام الشعر كأثر ثقافي من آثار العرب فهو اشهر واخطر من ان نعالجه في هذه العجالة ويستطيع القارىء ان يتتبع

---

(١) اليعقوبي ، المصدر السابق ، ١ : ٢٢٧ .
(٢) انظر : Islamic Culture, 1939, XIII, P. 50
(٣) انظر : Islamic Culture, Jan., 1939 XIII, P. 30.
(٤) المقدمة ، القاهرة ، ص٥٧٠ .

هذا التراث الثقافي في المؤلفات التي خصصت لهذا الغرض[1] .

ولكننا نود ان نشير هنا الى ان الشعر الجاهلي كان بمثابة سجل عام حفظ لنا كثيرا من تراث العرب في هذا الدور ، وقد يقدر القارىء قيمة الشعر كمصدر من مصادر تدوين التاريخ عند العرب اذا علم اننا نفتقر الى المدونات التي تعود لهذا الدور ولا يعنى هذا ان الشاعر كان ينشد شعره ليسجل التاريخ ، كلا انه ليس بمؤرخ ، وكان هدفه الاول نظم القصيدة وانشادها حتى تنتشر في انحاء الجزيرة ، وعلى هذا فأن القصائد لم تكن تواريخ تبحث عن الحوادث بتفصيل تام ، بحيث تكون هذه الحوادث مسجلة تسجيلا متقنا ومحلله تحليلا كافيا مع ربط علل الحوادث واسبابها .

ولم يقتصر تراث عرب الجاهلية الثقافي على ما ذكرنا بل ان ما خلفوه من قواعد وعادات وتقاليد ، خاصة ما يتعلق بنظرتهم الديمقراطية الى الحكم، كان لها اثر كبير في نظام الحكم والتشريع الاسلامي الذي استوعب كثيرا من عرف وتقاليد الجاهلية بعد ان حورها ونظمها حسب قواعد الدين الجديد . وبعد ، فهذه آراء وملاحظات عن تراث عرب الحجاز الثقافي قبيل الاسلام عرضناها هنا لكي يشاركنا القارىء في التفكير بما تعالجه من مشكلات ولست بموضع من يقول انها كانت شاملة لجميع نواحي الموضوع او انها نهائية لان مصادرنا عن الموضوع ، كما اسلفت ، ناقصة وستبقى الكتابة فيه ناقصة حتى يتم العثور على جميع المصادر .

ونختتم هذا الفصل بآراء وتعليقات تكميلية :

اولا ـ التأثيرات الخارجية في بلاد العرب . لقد تأثرت بلاد العرب

---

(١) الهاشمي ، علي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، بغداد ، ١٩٦٠ ؛ ويموت ، بشير ، شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ، بيروت ، ١٩٣٤ ؛ والحوفي ، احمد ، الحياة العربية في الشعر الجاهلي ، ج١ ، القاهرة ، ١٩٤٩ وغيرها .

بصورة محدودة بحضارة الاقطار المجاورة في حقلي الدين والتجارة بالدرجة الاولى • وحصل التأثر المذكور بدرجات متفاوتة تبعا للعوامل الجغرافية والبشرية وغيرها من العوامل المساعدة على الاتصال الحضاري • وظهرت التأثيرات الخارجية بوضوح في اليمن والسواحل الجنوبية لبلاد العرب ، وكانت اقل وضوحا في سواحل البلاد العربية الغربية والحجاز ، وتكاد تكون ضئيلة او معدومة في الاقسام الوسطى حيث تشيع البداوة •

وقد بحث اوليري « O'leary » عوامل الاتصال وطرقه في كتابه الموسوم بـ « بلاد العرب قبل محمد » Arabia Before Muhammad

ويقول هنري ماسيه بصدد التأثيرات الخارجية ما يأتي : « اذا كانت الوثنية في بدء القرن السابع قد تأخرت في البداية فأن تهامة ، منطقة اهل الحضر ، تعرضت من جميع النواحي لتأثيرات من الخارج ، وفي الشمال فأن اللخميين والغسانيين قد استخدموا وسطاء ولكن الجماعات المسيحية واليهودية منذ زمن طويل قد سكنت اليمن والحجاز بوجه خاص • والجماعة المسيحية الرئيسية هي جماعة نجران • اما اليهود ، وهم تجار وزراع على الخصوص ، فقد بلغوا الأزدهار في خيبر وفي يثرب ولكن هؤلاء واولئك تدافعوا الى مكة » • ثم يستطرد ماسيه بالكلام عن اهمية مكة التجارية وعن الاسواق التي تعقد بجوارها وعن اهمية الحجاز يقول : « ويجب الا نخاف من الترديد ان بشارة محمد (ص) ستوجه الى اناس كانوا قد اقلعوا منذ زمن طويل عن عزلتهم الوحشية ليخضعوا لتأثيرات حربية وسياسية وتجارية ودينية • وهذه الاخيرة يجب ان نقف عندها قليلا لنحاول ان نفهم بصورة افضل تكوين الاسلام ••• »[١] •

---

(١) ماسية ، هنري، الأسلام ـ ترجمة بهيج شعبان (بيروت، ١٦٩٠) ص٣٥ ـ ٣٨ •

ثانيا ـ المجتمع المكي واهميته •

لقد ازدهرت منطقة مكة وتقدمت حضاريا وماليا لأسباب اشرنا اليها اثناء البحث اولا ، ولأنها استطاعت ان تنظم علاقاتها التجارية مع القوى السياسية المتناحرة من بيزنطية وفارسية دون ان تنحاز الى جهة ثانيا • وقد استطاع قريش سكان مكة ان يؤسسوا مجتمعا متحضرا يشتغل بالتجارة • وكان اهل مكة وسطاء تجاريين يتاجرون بالمواد الكمالية ذات الارباح الكبيرة امثال التوابل والبخور والزبيب والأدم[1] • واصبحت حضارة المكيين متأثرة بحركة التجارة ، ومعنى ذلك انهم كانوا على صلة بالشعوب المجاورة وابتعدوا عن البداوة نسبيا •

ويساعدنا فهم طبيعة المجتمع المكي على تفهم كثير من مشكلات الدولة الاسلامية التي اسهم المكيون ، في الفترة موضوع البحث ، ببنائها • يقول هنري ماسيه « فما من شك في ان مكة كانت مركزا لنقابة من الماليين والتجار ، كلهم ماهرون في الحسابات بصفتهم قريشين ، (لا منس) • وما من شك دفي ان التجارة في مكة قد تحولت الى مدرسة تمهيدية للسياسة ، (فلهاوزن) • ومحمد (ص) نفسه سيبتدىء بالتجارة ـ حيث اصطلاحاتها تركت اثرها في القرآن »[2] •وكانت قريش سكان مكة يشعرون بنوع من الزعامة على سائر العرب فكانوا يقولون « نحن بنو ابراهيم ، واهل الحرمة وولاة البيت ، وقطان مكة وساكنها ، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ، ولا مثل منزلتنا ، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا ••• »[3] •

وقد يكون لشعور قريش بالزعامة ، ولحنكتها السياسية وخبرتها بشؤون المال ، اثر في تمكينها من الحصول على المناصب الكبرى في الدولة الاسلامية عند نشوئها بنسبة لا تتفق والخدمات التي قدمتها قريش للاسلام

---

(١) ابن هشام ، السيرة ، ج٢ (القاهرة ، ١٩٣٦) ص٢٥٣ •

(٢) الأسلام ، ص٣٨ •

(٣) ابن هشام ، السيرة ، ج١ ، ص٢١١ ـ ٢١٢ •

من جهة ، ولا تتناسب مع عدد افرادها من جهة اخرى •

ثالثا ـ اليهود والنصارى :

عاشت اقليات يهودية ومسيحية في بعض اجزاء من بلاد العرب كاليمن والحجاز • وقد وردت معلومات مقتضبة في المصادر العربية عن الاقليات المذكورة • ويبدو ان الاقليات المذكورة باستثناء يهود يثرب ، لم تكن متفوقة اقتصاديا على جيرانها من العرب • اما من الناحية الثقافية فيبدو ان الاقليات المذكورة بحكم صلاتها الدينية والاجتماعية بالاقطار المجاورة كانت ارقى ثقافة من جيرانها العرب الوثنيين • وقد اورد اوليري في كتابه « بلاد العرب قبل محمد » تفصيلات عن الجماعات اليهودية والمسيحية في بلاد العرب قبيل ظهور الاسلام جديرة بالاطلاع عليها • اما هنري ماسيه فيقول بصدد كلامه عن اليهود والنصارى في بلاد العرب في الفترة موضوع البحث : « يبدو ان التماسك الاجتماعي كان اكثر قوة عند اليهود منه عند المسيحين ، فهؤلاء يرتبطون بكنائس مختلفة النزعات اضعفتها المنافسة بانتظار ان تساهم في تسهيل الفتح الاسلامي ••• يضاف الى ذلك ان المسيحيين في مكة كانوا من صغار الناس ـ مغامرون ، ومقايضون ، وبائعو خمور ، وعمال ••• وبالاختصار فقد كان المسيحيون منعزلين غير قادرين على تشكيل وحدة حقيقية •

اما اليهود فعلى العكس ، فهم يوحون بأنهم قوة منظمة ، ذات تجمع مرتب يختلف تمام الاختلاف عن التفرق المسيحي ••• وفي مكة كانوا هم ايضا يسكنون الضواحي ، اما في منطقة يثرب (المدينة) فكانوا يملكون الارض ورؤوس الاموال • وحين سيترك محمد (ص) مكة الى المدينة فأن سأم عرب هذه المدينة من البلوتوقراطية اليهودية لن يكون غريبا عن الاستقبال الذي سيتلقاه ••• »[1] •

---

(١) ماسية ، الأسلام ، ص٣٨ ـ ٣٩ •

الفصـل الثاني

ظهور الرسول الأعظم محمد (ص)

مصادر سيرة الرسول :

أ ـ القرآن الكريم • يعدّ القرآن الكريم المصدر الاول والرئيس لعقائد المسلمين ، وقواعد عباداتهم ، ومنـه استمدوا الاغلبيـة العظمى من قوانينهم ، ويعدّ فضلا عن ذلك ، اهم مصـدر لحيـاة الرسـول الاعظم محمد (ص) •

فالآيات الكريمة التالية تظهر ان محمدا (ص) امضى شبابه مثقلا بأعباء الحياة : « الم يجدك يتيما فآوى • ووجدك ضالا فهدى • ووجدك عائلا فأغنى »[١] •

وتظهر الآية التالية ان الله اوحى الى النبي محمد (ص) كما اوحـى للانبياء (ع) الذين جاءوا من قبله : « كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم »[٢] •

ويظهر من الآية التالية ان الاسلام يقرر بأن الله هو مصدر السلطة : « وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله •••[٣] •

ووردت اشارات في القرآن الكريم الى النـزاع الـذي حصـل بين النبي (ص) وبين كفار قريش ، الذين اتهموا محمدا (ص) بأنه لم يكن

---

(١) الضحى : الآيات ـ ٥ ، ٦ ، ٧ •
(٢) الشورى : آية ـ ٢ •
(٣) الشورى ـ آية ـ ٩

زعيما من زعمائهم البارزين في الجاهلية : « وقالوا لولا نُزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » • وجاء في القرآن ان الكافرين اتهموا النبي (ص) بأنه ساحر[٤] ، وانه مجنون[٥] •

ومن الملاحظ ان الآيات السابقة جميعها كانت مكية فهي تناسب الدور الذي نزلت فيه ، فاشارت الى حياة محمد في شبابه ، كما بينت طرفا من نزاعه مع قريش •

اما الآيات المدنية فكانت تعني بالدرجة الاولى بالاحكام والقواعد التي من شأنها تنظيم علاقات الافراد والجماعات فيما بينها • فالآية التالية تشير الى ضرورة احترام اموال اليتامى : « آتوا اليتامى اموالهم •••»[٦] وتشير الآية التالية الى تحديد عدد الزوجات في الاسلام : « وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فأن خفتم الا تعدلوا فواحدة ••• »[٧] •

واشارت الآية التالية الى احترام اموال الآخرين وتحريم اكلها بالباطل « يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الاّ ان تكون تجارة عن تراض •••»[٨] • واشارت الآية التالية الى ضرورة احترام الامانات والحكم بالعدل بين الناس : « ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها ، واذ حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ••• »[٩] •

ويبدو مما سبق ان الدارس لحياة النبي (ص) يجد معلومات كثيرة عن ذلك الموضوع في القرآن الكريم •

---

(٤) الشورى ــ الآيات ٣٠ ، ٤٨ •
(٥) الدخان ــ آية ، ١٣ •
(٦) النساء ــ آية ٢ •
(٧) النساء ــ آية ، ٢ •
(٨) النساء ــ آية ، ٢٨ •
(٩) النساء ــ آية ، ٥٧ •

ب ـ السير • تعدّ سيرة الرسول (سيرة ابن اسحاق) التي الفت في النصف الاول من القرن الثاني للهجـرة من اقـدم ما وصـلنا عن حيـاة الرسول (ص) • ومع هذا فقد كانت هناك سير اقدم تاريخيا من سيرة ابن اسحاق ، ولكنها لم تصلنا • ذكر ابن هشام « ان اول من كتبوا في سـيرة النبي (ص) عروة بن الزبير ، وابان بن عثمان وشرحبيل بن سعد ووهب ابن منبه »(١٠) • ويظهر من نص اورده السنحاوي ان سيرا عديدا كتبت للرسول (ص) ولكنها لم تصل الينا اذ يقول : « فاما السيرة النبوية والمغازي فقد انتدب لجمعها مع سائر ايامه ••• موسى بن عقبة الاسدي المدني احـد التابعين ، ومحمد بن اسحاق المطلبي ••• وابو عبدالله محمد بن عمـر الاسلمي ••• وابو بكر عبدالله بن همام الحميري ••• وابو احمد محمد ابن عابد القرشي ، وابو عثمان سعيد بن يحي الاموي البغدادي ، وابـو القاسم التميمي الأضبهاني ••• وأخذ الامام ابو محمد عبدالملك بن هشـام كتاب ابن اسحاق بعد ان سمعه من زياد البكائي عنه فهذبه ونقحه بحيث صار المعول عليه »(١١) •

اما سيرة ابن هشـام فهي اقدم النصـوص التي وصـلتنا عن حيـاة الرسول (ص) ويحدثنا ابن هشام عن الطريقة التي اتبعها والامور النـي اكد عليها فيقول :

« وانا ان شأ الله ـ مبتدىء هذا الكتاب بذكر اسماعيل ••• وتارك ما ذكره ابن اسحاق في هذا الكتاب طالما ليس لرسول الله (ص) فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شيء ، ولا شاهدا عليه ، لما ذكرت من الاختصار ، واشعارا ذكرها لم ار احدا من اهل العلم بالشعر يعرفها ، واشياء بعضـها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ،و بعض لم يقر لنـا

---

(١٠) ابن هشام ، السيرة ، ج١ ، ص١٥ •
(١١) الأعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (القاهرة ، ١٣٤٩) ص٨٨ •

البكائي بروايته ...»[١٢] .

ويبدو من النص السابق ان ابن هشام تجاوز حدود النشر وحذف من سيرة ابن اسحاق اقساما من المحتمل ان تكون ذات قيمة تاريخية بالغة الاهمية . وكانت بعض حجج ابن هشام غير وجيهة منها انه حذف من سيرة ابن اسحاق « ما يسوء بعض الناس ذكره » على حد قوله وما يدرينا ان ما حذفه هو جزء مهم من السيرة له اهميته في سير التاريخ الاسلامي العام .

وبالرغم مما سبق فأن سيرة ابن اسحاق تعدّ اهم ما في ايدينا عن حياة الرسول (ص) . وتحدث ابن اسحاق عن قرش ولكنه اكد على كل ما يتعلق بالنبي (ص) . وقد تحدث المؤلف عما قيل ضد الرسول (ص) وعن قتلى قريش بالروح التي كتب فيها عن الرسول (ص) والمسلمين ، وحفظ بهذه الطريقة مادة تاريخية من طراز عال ، يستطيع المؤرخون المحدثون ان يفهموا عن طريقها حياة محمد (ص) فهما جيدا .

وقد وجهت تهم لابن اسحاق منها انه ينتحل الاشعار ، وانه يخطيء في النسب ، وانه يعتمد على اخبار اهل الكتاب ويسميهم اهل العلم الاول ، وانه يتعصب للشيعة . ويبدو لدارس السيرة ان بعض التهم المذكورة وخاصة الاخيرة لا نصيب لها من الصحة .

ورغم هذه الهنات البسيطة ان صحت فأن سيره ابن اسحاق ، التي نشرها واضاف اليها ابن هشام ، تعدّ اهم مصادرنا لحياة الرسول (ص) . لقد ولد ابن اسحاق وتربى في المدينة واهتم بجمع الحديث وخاصة ما يتعلق منه بحياة الرسول . وقد جاء الى بغداد حيث الف سيرته . وربما كان لوجوده في محيط عباسي اثر في موقفه غير الودي تجاه بني امية ، وذكره امورا يهم العباسيين ذكرها . وقد اكد المؤلف على نزاع الحزبين الرئيسين

---

(١٢) ابن هشام ، السيرة ، ج١ ، ص٢ ـ ٣ .

في مكة وهما الحزب الهاشمي والحزب الاموي • وقد توخى مؤلف السيرة ابن اسحاق وناشرها ابن هشام، الدقة في معظم اخبارهما عن الرسول وكثيرا ما يستعملان كلمة « زعموا » ليظهرا عدم تأكدهما من صحة بعض المعلومات التي يصدرانها بالعبارة المذكورة •

وقد كتب الاستاذ الفردغيوم تفصيلات وافية عن سيرة ابن اسحاق في مقدمته لترجمة السيرة الى الانكليزية • ويعتقد غيوم ان ابن اسحاق مؤرخ منصف وغير متحيز في معظم ما اورده من معلومات •

ج ـ كتب التاريخ العامة ـ تعدّ كتب التاريخ امثال تاريخ الطبري والمسعودي والبلاذري واليعقوبي وغيرها من اهم مصادر سيرة النبي محمد (ص) •

د ـ مجموعات الحديث • ومن اهم المجموعات المذكورة الصحاح الستة وكتب الحديث الاربعة عندالشيعة الامامية •

مولد محمد (ص) ونشأته : ولد محمد (ص) سنة ٥٧٠م وكفله جده عبدالمطلب لأن اباه عبدالله توفي قبل مولده ببضعة ايام • وبعد وفاة جده سنة **٥٧٩**م كفله عمه ابو طالب الذي خلف عبدالمطلب في حكم مكة • وكان ابو طالب شديد العطف على الفقراء والبائسين رغم قلة ما في يده •

وكان محمد (ص) يميل منذ صغره الى التأمل والتفكير ، وقد صحب عمه ابا طالب مرتين الى سورية فمكنه ذلك من الاطلاع على الحياة العامة هناك • ثم سافر بتجارة خديجة الى الشام ايضا • وكانت مدينته مكة من اشهر المراكز التجارية حينذاك • فكان اهلها يضاربون في اعمال الصرافة ، وفي هبوط اثمان السلع الاجنبية وصعودها ، وحول وصول القوافل وتأخرها ، وحول الزرع والحصاد ، وحول الديون قبل آجالها ، وحول القطاع والغنائم ، وكانت الغلال تحتكر ، وكان يباع ما لا وجود له من السلع •

وكان الأعراب يقعون فريسة ذوي الجشع والنيات السيئة من مضاربي مكة وسماسرتها الفاسدين • وقد هال محمدا (ص) ما رآه من مفاسد فانضم الى اولئك الذين كانوا ينكرون على قريش مفاسدها ، فحضر وهو في السنة الخامسة والعشرين من عمره حلف الفضول في بيت عبدالله ابن جد عان حيث تعاهد اناس على انصاف المظلوم وتقويم العقود ، وعملت لهم وليمة ثم صبّ ماء من بئر زمزم على الكعبة وشرب الجميع معا مقسمين •

ويقول ابن هشام عن حلف الفضول « فتعاقدوا وتعاهدوا على ان لا يجدوا بمكة مظلوما من اهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس الاّ قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته ••• »(١٣) •

وعندما بلغ محمد (ص) الخامسة والعشرين من عمره تزوج من خديجة التي اشتهرت بنبل خصالها ، فرزقا عدة اطفال توفي الذكور منهم في سن الطفولة • ومن بنات خديجة فاطمة الزهراء (ع) التي انجبت الحسن والحسين ابناء علي بن ابي طالب (ع) • وقد اخلصت خديجة لزوجها وشدت ازره في ايام محنته حين تعرض لاضطهاد قريش • وقد ذكر (ص) لخديجة جميل صنعها فقال « آمنت بي اذ كفر بي الناس ، وصدقتني اذ كذبني الناس ، وآستني في مالها اذ حرمني الناس » • وكان محمد (ص) اكمل الأزواج لخديجة فظل وفيا لها طيلة ربع قرن مع انها اكبر منه سنا ولم يتزوج عليها • وسلوكه (ص) معها يدحض آراء طائفة من المستشرقين التي تنسب له الاكثار من الزوجات ، كما يبين ان ميله للزواج في اخريات حياته كان لأسباب سياسية ، او عطفا على النساء اللواتي فقدن ازواجهن في سبيل الدفاع عن الاسلام •

البعثـــة :

(يا ايها النبي انا ارسلناك بالحقّ هو الذي ارسل رسوله • ما كان محمد ابا احد) الآية • ارسل الله تعالى محمدا (ص) بعد ان بلغ الاربعين

---

(١٣) السيرة ، ج١ ، ص١٤١ •

من عمره حين تكامل بها واشتدت قواه ليكون متأهبا لما انذر به • ويرى بعض المستشرقين انه بعث قبل الاربعين ولكن هذا القول ضعيف لا يركن اليه لأن المصادر لا تؤيده •

ولبعثته (ص) درجات : اولها الرؤيا الصادقة والثانية ان الله تعالى قرن جبرئيل بنبوة نبيه ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه • والثالثة حديث خديجة وورقة بن نوفل • والرابعة امره بتحديث النعم (واما بنعمة ربك فحدث) والخامسة حين نزل عليه القرآن • ونزل (يا ايها المدثر) فأسلم علي (ع)[١٤] وخديجة ثم زيد وجعفر وابو بكر وعثمان (رض) • ولما بدأ محمد (ص) دعوته سخرت منه قريش ولكنها عندما ايقنت من أنه كان جادا فيها انقلبت محاولتها الى اضطهاد وتعذيب ، فأخذت تسيء معاملته وتسوم اتباعه صنوف العذاب مما اضطر بعضهم ان يهاجر الى الحبشة[١٥] ، في حين بقي الآخرون يتحملون الأذى والأضطهاد بجنب الرسول (ص) • وقد ارسلت قريش وفدا للنجاشي تطلب منه تسليم المهاجرين ولكنه امتنع عن ذلك[١٦] • وقد حاولت قريش مقاطعة الرسول واصحابه فكتبوا صحيفة بينهم تعاقدوا فيها على ان يمتنعوا عن البيع والشراء من بني هاشم وبني المطلب • وقد فشلت المقاطعة لصعوبة تطبيقها اولا ، ولوقوف جماعة من قريش ضدها[١٧] ثانيا •

وقد فقد الرسول (ص) خير معينين له وهما خديجة زوجته وابو طالب عمه اذ هلكا في عام واحد • يقول ابن هشام « فتتابعت على رسول الله (ص) المصائب بهلك خديجة ، وكانت له وزير صدق على الاسلام •••

---

(١٤) ابن هشام ، السيرة ج١ ، ص٢٦٣ •
(١٥) ايضا ، ج١ ، ص٣٤٤ •
(١٦) ابن هشام ، السيرة ، ج١ ، ص٣٥٦ •
(١٧) ايضا ، ج١ ، ص٣٧٩ •

وبهلك عمه ابي طالب ، وكان له عضدا وحرزا في امره ، ومنعة وناصرا على قومه ... »[18] . وبعد موت ابي طالب آلت رئاسة بني هاشم الى أبي لهب الذي ناصب الرسول العداء مدفوعا بمصالحه المادية[19] .

الهجرة الى المدينة :

ضاعفت قريش اذاها للرسول بعد موت ابي طالب ففكر الرسول (ص) باختيار ميدان آخر لتبليغ رسالته فاتجه الى الطائف ولكنه لم يلاق نجاحا فيها . وحدث ان قدم جماعة من يثرب الى مكة فحصل بينهم وبين الرسول اتفاق في بيعتين وهما بيعة العقبة الاولى[20] والثانية[21] . وقال رسول الله (ص) لأهل يثرب ، الذين عرفوا فيما بعد بالأنصار ، في بيعة العقبة الثانية « ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم » فقالوا نعم . واشترطوا على الرسول (ص) ان يكون معهم على اعدائهم من اليهود وغيرهم[22] . واشترط عليهم الرسول ان لا يعبدوا الأوثان ، ولا يسرقوا ، ولا يزنوا ، ولا يقتلوا اولادهم[23] ولا يفتروا على الناس .

وبعد عودتهم انتشر الاسلام بالمدينة واخذ اصحاب النبي يهاجرون اليها . فاستقبلهم اهل يثرب بترحيب كبير . ثم تبعهم النبي (ص) بصحبة ابي بكر .

الرسول في المدينة :

لقد رحبت جماعات كبيرة[24] من اهل المدينة بالاسلام والمسلمين ،

---

(١٨) ايضا ، ج٢ ، ص٥٧ .
(١٩) سورة المسد ، الآية ١ ـ ٢ .
(٢٠) ابن هشام ، ج٢ ، ص٧٣ .
(٢١) ايضا ، ج٢ ، ص٨١ .
(٢٢) ايضا ، ج٢ ، ص٨٤ ـ ٥٠ .
(٢٣) اشارة الى منع وأد البنات .
(٢٤) ابن هشام ، ج٢ ، ص١٤٦ .

مدفوعين بالايمان بالدين الجديد اولا ، وبالرغبة في التخلص من الفوضى والحرب البادرة اللتين كانا يسودان مدينتهم ثانيا • وكان اهل المدينة مستعدين لاتباع اي طريق يساعدهم على تحسين حالتهم لذا لم يلتفتوا الى اعتراضات عبدالله ابن ابي الذي كان يطمع في ان يكون ملكا على المدينة • وقد مهد وجود اليهود لقبول العقيدة الجديدة ، ولكن البرنامج الديني والاجتماعي الجديد جذبا اهل المدينة اليه •

كان اول عمل جابه الرسول (ص) هو توحيد المجتمع المدني ، لذا حاول تسوية المشكلات القائمة بين الأوس والخزرج ، ثم انه حاول ان يضم الجماعات اليهودية للدين الجديد ولكنه فشل[٢٥] • وكان وجود النبي (ص) في المدينة اهم عامل في انضمام الناس الى الدين الجديد من جهة ، وفي توحيد الجماعات المتنافرة تحت رآية الاسلام من جهة اخرى •

الصحيفة :

رغب الرسول (ص) في ان ينظم الامور الاجتماعية والعسكرية للمجتمع المدني فعقد لذلك عقدا بينه وبين اهم الجماعات التي يتكون منها المجتمع الجديد •

يقول ابن هشام ان رسول الله (ص) « كتب كتابا بين المهاجرين والانصار ، وادعَ فيه يهود وعاهدهم ، واقرّهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم ، واشترط عليهم » • وسمي ذلك العهد بالصحيفة فجاء فيها « وان يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة » • واشارت الصحيفة الى ان الله مصدر السلطة وان رسوله هو الحكم الاعلى في حل القضايا المدنية والادارية التي تحصل في المدينة « وانه ما كان بين اهل هذه الصحيفة من حدث واشتجار يخاف فساده ، فأن مردّه الى الله عز وجل ، والى محمد رسول الله (ص) ••• » • « وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء فأن مرده الى

(٢٥) ايضا ، ج٢ ، ص١٦٠ •

الله ••• والى محمد » • واشارت الصحيفة الى ان المسلمين امـة دينيـة متميزة « وان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس ••• » • وبين ان نفقة اليهود عليهم اثناء الحرب « وان اليهـود ينفقون مع المؤمنين ما دامـوا محاربين » • وبينت الصحيفة ان جميع اهل المدينة مسؤولون عن الدفاع عنها « وان بينهم (اليهود والمسلمون) النصر على من حارب اهل هـذه الصحيفة »[٢٦] •

وقد اور دحميد الله الحيدر آبادي تفصيلات عن الصحيفة المذكورة وقسمها الى (٤٧) مادة[٢٧] •

ومن الجدير بالذكر ان عقد الصحيفة المذكورة يدل على بعد نظر وحنكة سياسية وادارية من جانب الرسول (ص) • وقد تعقدت العلاقـات فيما بعد بين الرسول واليهود بحيث اضطر الى حربهم واجلائهم عن المدينة وضـواحيها •

النزاع بين محمد (ص) وقريش :

يمكننا ان نجمل اسباب النزاع المذكور بما يأتي :

اولا ـ كان النبي محمد (ص) يعلم ان قريشا هي زعيمة الجماعات الوثنية بالجزيرة ولا يمكن ان يتم النجاح للاسلام ما لم يقض على مقاومة عبدة الاوثان وعلى رأسهم قريش • وكانت حروب الرسول حروبا مقدسة ، لذا نمت فكرة الجهاد تدريجا في المدينة •

ثانيا ـ كانت قريش تحتكر تجارة الجزيرة العربية تقريبـا ولابدّ للمجتمع المدني الجديد ان يكسر الاحتكار المذكور ليبسر له سبل البقـاء والعيش •

---

(٢٦) ابن هشام ،ج٢ ، ص١٤٧ ـ ٥٠ •
(٢٧) مجموعة الوثائق السياسية (القاهرة ، ١٩٤١) ص١ ـ ٧ •

ثالثا ـ كان تنبيه اهل المدينة لعدو خارجي من الامور الضرورية لبناء الدولة الاسلامية الجديدة ورسوخها لذا كانت مقاومة قريش من الامور الضرورية لتثبيت دولة الاسلام .

وقد حدثت بين المسلمين ومشركي قريش سلسلة من الحرب اهمها معركة بدر واحد والخندق ثم فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة النبوية الشريفة .

ومن الجدير بالذكر ان اسلوب النبي (ص) في الحرب لا يختلف كثيرا عن اسلوب العرب في الجاهلية اذا استثنينا غزوة الخندق . وعلى هذا اصبح من الممكن ان يحكى عن هذه الغزوات كما كان البدو يتناقلون اخبار ايامهم قبل الاسلام . ولعل اهم تمييز لهذه الحروب (المغازي) هو انها كانت تشن في سبيل اعلاء كلمة الله . وبعد ان ظهر امر الرسول وخاصة بعد وفاته وانتصار الاسلام اصبحت شخصية الرسول والحوادث المرتبطة بنشوء الاسلام مركز الاهمية .

لقد تعرضت كتب التاريخ والسير لوصف المعارك المذكورة لذا لا نرى ضرورة لبحث ذلك .

دعوة النبي للملوك المجاورين :

ارسل النبي (ص) رسائل لعدد من الملوك المجاورين يعرض عليهم الاسلام وقد اورد ابن هشام اسماء الرسل واسماء الملوك الذين ارسلت اليهم الرسائل المذكورة . وكانت الرسائل موجهة الى ملوك العرب والعجم . وان الرسول (ص) قال لأصحابه « ان الله بعثني رحمة وكافة »(٢٨) . وقد اورد حميد الله الحيدر آبادي نصوص الرسائل كما ذكر المصادر التي وردت فيها(٢٩) .

---

(٢٨) ابن هشام ، ج٤ ، ص٢٥٤ ـ ٥ .
(٢٩) مجموعة الوثائق السياسية ، صرصر ٢٠ ، ٢٦ ، ٣٢ .

ان ارسال الرسائل المذكورة ، وورود النص السابق ، في ابن هشام من الأدلة على عالمية الدين الاسلامي ، وانه موجه لا للعرب حسب بل للعالم كافة .

يضاف الى ما سبق ان آيات عديدة وردت في القرآن الكريم تبين ان الرسالة الاسلامية موجهة للعالم كافة . « وما تسئلهم عليه من اجر ان هو الاّ ذكر للعالمين »[٣٠] .

خطبة حجة الوداع :

حج الرسول (ص) حجة الوداع سنة عشر للهجرة ، وتسمى الحجة المذكورة حجة الاسلام . وقد اشار (ص) في خطبته هذه الى مبادىء اسلامية مهمة منها : اولا ـ اكد على حرمة الدماء والمال « فأن الله حرّم عليكم دماءكم واموالكم ... » . ثانيا ـ اكد على المساواة بين المسلمين « الناس في الاسلام سواء ... لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي الاّ بتقوى الله » . ثالثا ـ اكد على حرمة الربا ـ « وكل ربا كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي ، واول ربا اضعه ربا العباس بن عبدالمطلب ... » . رابعا ـ اوصى بالنساء خيرا . « اوصيكم بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم لا يملكن لأنفسهن شيئا ... ولكم عليهن حق ولهن عليكم حق ... » . خامسا ـ اشار (ص) الى الثقلين . وعندما سئل عنهما قال « الثقل الاكبر كتاب الله ... وعترتي اهل بيتي »[٣١] .

الوفـاة :

توفي رسول الله (ص) ليلة الاثنين في الثاني من ربيع الاول ، سنة ١١هـ عن ثلاث وستين عاما .

---

(٣٠) يوسف ، الآية ، ١٠٤ ؛ الصافات ، آية ، ٨٧ ، القلم ، آية ، ٥٢ .

(٣١) اليعقوبي ، التاريخ ، ج٢ ، ص٩١ ـ ٩٣ .

الفصل الثالث

الخلفاء الراشدون

لقد نشأت مشكلة خلافة النبي (ص) في حكم الأمة الاسلامية بعد موته مباشرة ، وقد قامت ازمة سياسية حول موضوع الخلافة وتصارع المكيون والمدنيون على السلطة وتألفت عدة جماعات سعت كل منها للحصول على الخلافة لمرشحها • وكان اهم الجماعات المتنافسة :ـ

أ ـ المهاجرون وكان معظمهم يميل الى ابي بكر (رض) •

ب ـ الأنصار وكانوا يرون انهم احق بالخلافة من قريش •

ج ـ شيعة علي بن ابي طالب وكان مرشحهم الامام (ع) • وكانت كل جماعة تدعم وجهة نظرها بحجج ، فالانصار يعتقدون انهم ناصروا الاسلام وقدموا كل امكاناتهم لنجاحه ، وعلى هذا فهم اولى بالخلافة من غيرهم • اما جماعة ابي بكر (رض) فكانت ترى ان مرشحها يتمتع بميزات منها كبر سنه ، وسابقته في الاسلام ، ومرافقته للرسول في هجرته من مكة الى المدينة ، وترشيحه لأن يؤم المسلمين بالصلاة خلال مرض الرسول الاخير • ويعتقد شيعة علي (ع) ان مرشحهم يتمتع بميزات لا يتمتع بها غيره ، ويترتب على هذا انه احق من غيره بالخلافة • ومن أهم ميزات الامام علي سابقته في الاسلام ؛ وبلاؤه في قتال المشركين تحت راية الرسول (ص) ؛ وقرابته من الرسول ؛ واهم من كل ما سبق انهم يعتقدون ان النبي (ص) عيّن عليا (ع) للامامة •

ويستندون في قولهم الاخير على روايات متعددة منها رواية الطبري وابن الاثير وخلاصتهما ان الرسول (ص) قال مرة مخاطبا بني هاشم « فايكم

يؤآزرني على هذا الامر على ان يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم » فاحجم القوم عنها جميعا ، وكان علي بين الحاضرين فقال « انا يابني الله اكون وزيرك عليه » فقال الرسول « ان هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا »[1] •

وبالرغم مما سبق يبدو ان حزب ابي بكر (رض) كان اقوى الاحزاب فنجح في نيل الخلافة لمرشحه •

سقيفة بني ساعدة : لقد تمت البيعة الخاصة لأبي بكر (رض) في محل يعرف بسقيفة بني ساعدة • وقد وردت تفصيلات عما دار في سقيفة بني ساعدة في ابن هشام[2] والطبري[3] وغيرهما من المصادر • ويمكن ان نجمل العوامل التي ساعدت ابا بكر على النجاح بما يلي :

١ ـ كان أبو بكر شيخا مسنا ، وكبر السن حسب التقاليد العربية من الشروط التي يستحسن توفرها في المرشح للرئاسة •

٢ ـ كان اغلب المهاجرين ، وجلهم من قريش ، لا يميلون لتأييد علي لأنه كان شديدا في حربهم في عهد الرسول (ص) ، ولأنهم لم يرضوا بأن تكون النبوة والأمامة في بني هاشم فيفخروا عليهم[4] •

٣ ـ ساعدت مبادرة ابي بكر للعمل بعد وفاة الرسول على نجاحه ، بينما انشغل علي والهاشميون في دفن الرسول (ص) •

٤ ـ يرى لا مانس ان ابا بكر وعمرو ابا عبيدة قد عملوا على كسب الخلافة ، وقد ادى تعاونهم الى نجاح مرشحهم وهو أبو بكر •

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٢ (القاهرة ، ١٩٣٨) ص٦٣ ؛ وابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٢٢ •

(٢) السيرة ؛ ج٤ ، ص٣٠٦ ـ ١٢ •

(٣) تاريخ الرسل والملوك ، ج٢ ، ص٤٥٥ •

(٤) الطبري ، ج١ ، ص٢٨٨ •

وبعد ان تولى ابو بكر الخلافة خطب فقال : « اما بعد ايها الناس ، فاني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فأن احسنت فأعينوني ، وان أسأت نقوموني ... اطيعوني ما اطعت الله ورسوله ، فأذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم »[٥] .

حروب الردة :

ما كاد خبر وفاة النبي (ص) ينتشر حتى تمرد عدد كبير من القبائل العربية واعلنوا عودتهم للوثنية بعد اسلامهم ، ومن المرجح ان الجزيرة لم تسلم كلها قبل وفاة الرسول لذا كان عدد من المرتدين وثنيين ثاروا على حكومة ابي بكر . وقد سمع احد الأسرى يقول « ما امنت طرفة عين قط » .

وهناك اشارات تبين ان جماعة من الثائرين احتفظوا بأسلامهم[٦] ولكنهم لم يرضوا عن حكومة ابي بكر . وثار بعضهم رغبة في التخلص من ضريبة الزكاة لأن اولئك الأعراب لم يعتادوا دفع الضرائب لحكومة مركزية . ورأى بعضهم انهم بايعوا النبي وحسب ، وان هذه البيعة لا تربط صاحبها الا بشخص من اعطيت له .

ويورد السيد امير علي سببين للأرتداد وهما : اولا ـ المبادىء الأخلاقية الصارمة التي فرضها الأسلام . ثانيا ـ نفور القبائل من دفع الزكاة[٧] .

وقد تمكن المسلمون بقيادة ابي بكر (ر) من القضاء على المرتدين[٨] . وكان خالد بن الوليد من ابرز قواد المسلمين في حروب الردة .

---

(٥) ابن هشام ، ج٤ ، ص٣١١ .
(٦) اليعقوبي ، التاريخ ، ج٢ ، ص١٤٨ .
(٧) مختصر تاريخ العرب (بيروت ، ١٩٦١) ص٢٩ .
(٨) فلهاوزن ، الدولة العربية وسقوطها ـ ترجمة عبدالهادي أبو ريده (القاهرة ، ١٩٥٨) ص٢٣ .

الفتوحات الخارجية :

اولا ـ الحرب مع الفرس • لقد ادت حروب الردة في الشمال الشرقي من شبه جزيرة العرب الى تصادم المسلمين مع القبائل الرحالة الخاضعة لسلطان الحيرة التي كانت تحت نفوذ الساسانيين • ولم تكد تنتهي حروب الردة حتى اشتبك خالد بن الوليد والمثنى الشيباني في معارك عديدة مع العشائر الساكنة في المناطق التابعة للحيرة • وكان المثنى يغير على السواد في رجال من قومه قبل ظهور الاسلام ، وقد استأذن ابا بكر في قتال الفرس فأذن له ، ثم عزز جبهة العراق بجيش تحت قيادة خالد بن الوليد • وتمكن الجيش المذكور من فتح الحيرة صلحا على ان يدفع اهلها مائة الف او ثمانين الف درهم في كل عام ، وعلى ان يكونوا عيونا للمسلمين على اهل فارس ، وان لا يهدم لهم بيعة ولا قصرا[٩] • وتقدمت جيوش المسلمين ففتحت عددا من المناطق العراقية • ويرى امير علي ان استيلاء المسلمين على الحيرة ادى بحكومة الفرس الى ان تدرك الخطر المحدق بها من حدود دولة فتية متحمسة على حدودها • ويرى ايضا ان الفرس لم يكونوا حكماء اذ انهم لم يتفاهموا مع العرب وقرروا حشد جيش كبير لأجلائهم عن كلدة[١٠] •

ثانيا ـ الحروب مع الروم •

رأى ابو بكر (ر) بعد فراغه من حروب الردة توجيه الجيوش الى الشام فكتب الى المسلمين « يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم ، فسارع الناس اليه من بين محتسب وطامع[١١] » • وقد وجه ابو بكر عددا من القواد المسلمين لفتح الشام وقال للأمراء « ان جتمعتم على قتال فأميركم

---

(٩) البلاذري ، فتوح البلدان (القاهرة ، ١٩٣٢) ص٢٤٤ •
(١٠) مختصر تاريخ العرب ، ص٣٣ •
(١١) البلاذري ، ص١١٥ •

ابو عبيدة عامر بن عبدالله »[١٢] .

يضاف الى ذلك ان ابا بكر طلب من خالد بن الوليد ان يتوجه من العراق لنجدة المسلمين في الشام . فتوجه خالد واتخذ معه دليلا فمر بتدمر وفتحها ثم قطع صحراء الشام بثمانية ايام ، ويعدّ كثير من المؤرخين قدوم خالد للشام ونجاحه بقطع الصحراء بهذه السرعة من الأعمال العسكرية المهمـة .

ومن الأعمال المهمة التي تمت في عهد ابي بكر جمع القرآن ، وقـد جمع في صحف بعد ان كان مبعثرا في اصول الجريد واكتاف الأبل والغنم والجلود والخزف ، وفي صدور جماعة من الصحابة .

وروي ان علي بن ابي طالب كان قد جمعه لما قبض رسول الله واتى به يحمله على جمل وقال هذا القرآن قد جمعته[١٣] .

وفاة ابي بكر (ر) : توفي ابو بكر بعد ان امضى في الخلافـة سـنتين ونصف . وقسم ابو بكر بين الناس بالسوية ، وفي عهده تمكن الأسـلام من بلاد العرب ومهد لفتح سورية وبلاد الفرس .

خلافة عمـر :

تولى عمر (ر) الخلافة بعد ابي بكر بوصية منه . وكان بعض المسلمين غير راغب في توليه الخلافة لشدته . وسمي الخليفة الجديد امير المؤمنين بعد ان كان سلفه يسمى خليفة رسول الله . ويدل اللقب الجديد على الصفة العسكرية للحاكم .

وقد ردّ عمر سبايا أهل الردة الى ذويهم وقال اني كرهت ان يكون السبي سنة في العرب . ويعدّ عمر مؤسسا لامبراطورية اسلامية واسعة ،

---

(١٢) ايضا ، ص١١٦ .
(١٣) اليعقوبي ، التاريخ ، ج٢ ، ص١١٣ .

وفي عهده أصبح الأسلام ظاهرة عالمية لها اهميتها في التاريخ العالمي بعد ان كان اثره مقتصرا على الجزيرة •

وقد ظهرت اهمية عمر (ر) في المدينة حيث عمل تحت راية الرسول (ص) لبناء الدولة الثيوقراطية الجديدة ، ولم تبرز اهميته كمحارب بل كان مشيرا في الأمور الأدارية خاصة في عهد ابي بكر ، اذ يعدّ عمر أكبر شخصية اثرت في تسيير شؤون سلفه ، ولم يظهر بينهما اختلاف حول امور مهمة سوى قضية عزل خالد بن الوليد بعد اتهامه بمقتل مالك بن نويرة دون حق •

استمرار الفتوحات في عهد عمر :

كان المسلمون على وشك ان يخوضوا معركة اليرموك عند وفاة ابي بكر ، وقد وفقت قيادة الجيش الاسلامي فاختارت مواقع عسكرية جيدة ، بينما اختار خصومهم مواقع لا تصلح للحركات العسكرية الأمر الذي ساعد على دحرهم في ٣٠ آب ٦٣٤م •

وكانت عدة جيش الروم (٢٤٠) الف مقاتل بينما تقدر قوة المسلمين بأربعين الف مقاتل • وقد مني الرومان بهزيمة منكرة بعد ان اعمل العرب المسلمون فيهم السيف واغرقوا قسما كبيرا من جيشهم في نهر اليرموك •

ويبدو ان عدد جيش الروم مبالغ فيه ، اذ ان الروم لم يستطيعوا ان يجهزوا حينذاك جيشا بهذا العدد • ويرى فازلييف ان الروم في تلك الفترة كانت فيهم حاجة الى الرجال المحاربين بعد ان خسروا كثيرا من رجالهم في حروبهم مع الفرس التي انهكت الدولتين معا • يضاف الى ذلك ان كثيرا من سكان البلاد الأصليين لم يساندوا دولتهم بقوة لوجود خلافات دينية بين الحكومة والسكان •

ولما بلغ هرقل خبر اليرموك ، وايقاع المسلمين بجيشه هرب من انطاكية الى القسطنطينية ، فلما جاز الدرب قال : « عليك يا سورية السلام ، ونعم

البلد هذا للعدو يعني ارض الشام لكثرة مراعيها »[١٤] •

ويبدو ان القول المذكور مبالغ فيه اذ ان مقاومة الروم بعد اليرموك بقيت قوية ، وانهم اظهروا قوة وشجاعة خاصة في دفاعهم عن مصر •

توجهت جيوش المسلمين بعد واقعة اليرموك لأكمال فتح البلاد • ومن المدن التي صعب عليهم فتحها دمشق ، ولكنهم فتحوها بعد ان ضيقوا عليها الحصار • ويروي اليعقوبي ان المسلمين استمروا على حصار دمشق حولا كاملا •

الجبهة العراقية : ترك خالد العراق متوجها نحو الشام كما اسلفنا • وقد سلم قيادة جيش المسلمين للمثنى بن حارثة • وكان المثنى من اشهر القواد ، وكانت له معرفة جيدة في شؤون البلاد وفي حروب الفرس ، ولكنه لم يكن ذا سابقة في الأسلام ، وكان ذلك من الأمور التي حالت دون تسلمه القيادة العامة في العراق بصورة دائمية • وقد انتدب الخليفة عمر سعد بن ابي وقاص لهذه المهمة ، وقد تم على يده فتح معظم البلاد العراقية ، وبقيادته ربح المسلمون معركة القادسية •

القادسية :

لقد تولى كسرى يزدجرد حكم بلاد فارس في تلك الفترة تقرر وقف تقدم العرب ، وعندما علم عمر باستعداد الفرس اهتم للأمر وكتب الى ولاته : « لا تدعوا احدا له سلاح او فرس ، او نجدة ، او رأي الا انتخبتموه ثم وجهتموه الي والعجل العجل » فأتت النجدات من كل مكان •

وقد اشتبك المسلمون بمعركة حامية مع الفرس دامت ثلاثة ايام ، وانكشفت المعركة عن هزيمة الفرس ومقتل قائدهم رغم وجود الفيلة في جيشهم التي سببت ذعرا في اول الأمر لخيل العرب • وقد قررت القادسية

---

(١٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٤٢ •

مصير العراق ففتحت المدائن وغيرها بعد ذلك .

فتح مصر :

لما فتح المسلمون سورية استمر الرومان على مضايقة العرب في البحر فرأى الخليفة عمر بعد تردد ارسال حملة الى مصر بقيادة عمرو بن العاص فتمكنت من فتح مصر بعد معارك دامية . وقد صعب على العرب فتح مدينة الاسكندرية لان المدد كان يأتيها من البحر . وهكذا أصبحت مصر كلها ، حتى حدود الحبشة في الجنوب وليبيا في الغرب ، خاضعة لسلطان المسلمين . وكان وقع خسارة مصر كبيرا على الرومان لأن مصر كانت تمون عاصمتهم القسطنطينية بالحبوب والقراطيس .

اداريات عمر : لقد واجهت الخليفة مشكلة الغنائم او الفيء وخاصة الاراضي . وأصبحت الغنائم فيما بعد تعني الاموال المنقولة ، اما الفيء فكان يعني الارض وقد شاور عمر الصحابة حول الموضوع المذكور وخاصة في امر سواد الكوفة ، فاشار بعضهم بتقسيم ارض السواد بين الفاتحين بينما اشار البعض الآخر بضرورة بقاء الارض المفتوحة ملكا للامة الاسلاميه . وكان الأمام علي بن ابي طالب من بين القائلين ببقاء الأرض دون تقسيم .

وقد اهتم الخليفة عمر بأمر السواد فأرسل عثمان بن حنيف وحذيفة ابن اليمان وامرهما ان لا يحمّلا احدا فوق طاقته . وامرهما الآ يمسحا تلا ولا اجمة ، ولا مستنقع ماء ، ولا مالا يبلغه الماء . ووضع على كل جريب (وحدة مساحة) مزروعا او صالحا للزراعة قفيزا (وحدة كيل) ودرهما اذا كان مزروعا بالشعير ، ودرهمين اذا كان مزروعا بالحنطة ؛ وعلى جريب النخيل خمسة دراهم وهكذا تختلف مقادير الضريبة حسب اختلاف المحاصيل . وسميت الضريبة السابقة في السواد ضريبة الخراج ، اما الجزية او ضريبة الرؤوس فكانت في المنطقة نفسها (٤٨) درهما على الموسرين و (٢٤) درهما على الطبقة الوسطى ، و (١٢) درهما على الفقراء .

وقد عوملت منطقة البصرة معاملة منطقة الكوفة •

ودون عمر الدواوين ، فقسم الناس الى طبقات لكل طبقة مقدار من المال يسمى « العطاء » وبذا عدل عمر عن مبدأ المساواة في القسمة الذي كان متبعا في عهد الرسول (ص) وابي بكر (ر) وعلي (ع) فيما بعد • يقول البلاذري ان عمر كتب الى عائشة ام المؤمنين « في اثني عشر الفا ، وكتب سائر ازواج النبي (ص) في عشرة آلاف ، وفرض لعلي بن أبي طالب في خمسة آلاف ••• »[١٥] •

ويبدو مما سبق ان الأسس العامة للدولة الأسلامية وضعت في عهد الخليفة عمر (ر) ؛ وان معظم الموجة الأولى من الفتوحات الأسلامية تمت في عهده • وقبل ان ننهي الكلام عن خلافة عمر نذكر ما يأتي عن الفتوحات الأسلامية في عهد الخلفاء الراشدين :

الفتوحات الأسلامية في عهد الخلفاء الراشدين :

لقد استطاع المسلمون ان يفتحوا معظم بلدان الشرق الأوسط ومصر في عهد الراشدين • وقد كانت حروبهم مع الفرس والروم من الأحداث العالمية المهمة ، وقد تكون فتوحاتهم هذه اهم حادث حصل في بداية العصور الوسطى ، وتفوق الحروب المذكورة من حيث الأهمية الهجرات التيوتونية التي قضت على الأمبراطورية الرومانية في الغرب •

وتعتبر الفتوحات الأسلامية التي وصلت قمتها عند فتح الأندلس بداية للعصور الوسطى • ومن اهم الأسباب التي ساعدت المسلمين على القيام بالفتوحات المذكورة :

اولا ـ ضعف دولتي الروم والفرس نتيجة للحروب المتكررة بينهما ، وقد أدت الحروب المذكورة الى خسائر جسيمة في الرجال والنفقات من

---

(١٥) فتوح البلدان ، ص٤٣٥ •

الدولتين معا ، فالروم مثلا رغم انتصارهم الساحق على الفرس قبيل ظهور الأسلام كانت فيهم حاجة الى الرجال لصد الهجوم الأسلامي • يضاف الى ذلك ان الدولة الرومانية كانت قد تكبدت خسائر كبيرة في المال لتصد هجمات الفرس ، مما حدا بالأمبراطور الروماني ان يستعين بأموال الكنيسة ليسد نفقات تلك الحروب • اما الفرس فهم الآخرون فقد انهكتهم حروبهم مع الروم لدرجة جعلتهم عاجزين عن مقاومة الجيوش الأسلامية الفتية • يضاف الى ذلك ان كثرة النفقات جعلت حكومتهم تثقل كاهل شعبها بالضرائب فتزيد من تذمره •

ثانيا ـ كان كثير من سكان الأمبراطوريتين من العنصر السامي ، وبعضهم من العرب ، وقد ساعدت جماعات كبيرة من اولئك السكان الجيوش الأسلامية الفاتحة •

ثالثا ـ الخلافات الدينية بين السكان وبين ممثلي الكنيسة الرسمية وظهر ذلك الأختلاف جليا في سورية ومصر ، حيث كانت الكنيسة الرسمية الأرثدوكسية تضطهد الكنائس المونوفستية المهرطقة في نظرها • وكان النساطرة في العراق لا يدينون بالولاء للكنيسة الرومانية الرسمية شأنهم في ذلك شأن المونوفستيين في سورية ومصر •

رابعا ـ كانت معنوية الجيش الأسلامي عالية وكانت الحرب في نظرهم حربا مقدسة مما ساعدهم على النصر •

خامسا ـ يرى كثير من المؤرخين ان شحة موارد الجزيرة العربية وكثرة سكانها قبيل حصول الفتوحات الأسلامية جعلت المسلمين يبحثون عن فتح بلاد غنية امثال الهلال الخصيب ليحلوا مشكلاتهم الأقتصادية •

سادسا ـ ان وجود طبقة اقطاعية في مصر جعلت السكان يتذمرون من تحكم الطبقة المذكورة ، هذا فضلا عن تذمرهم من سياسة الحكومة المركزية •

ان العوامل المذكورة مجتمعة تفسر لنا نجاح المسلمين في فتح بلاد شاسعة وغنية دون ان ينفقوا كثيرا من الجهد والمال • وقد استطاعوا ان يقضوا على امبراطورية الفرس ويفتحوا اوسع واخصب ولايات الأمبراطورية الرومانية • ويرى بعض المؤرخين ان ما قام به القواد المسلمون من فتوحات في هذا العهد لا يقل من حيث الأهمية عن الفتوحات التي قام بها الأسكندر الأكبر وهنيبال وغيرهم من القواد المشهورين في التاريخ •

خلافة عثمان :

تولى عثمان (ر) الخلافة بعد مقتل عمر بن الخطاب • وكان عثمان رجلا ذا سابقة في الأسلام وخدمة في سبيله ولكنه كان متساهلا في سياسته مع عماله من بني امية بصورة خاصة ومع قريش بصورة عامة • وقد خالف سياسة سلفه عمر (ر) بهذا الخصوص • وكان يقول : « ان عمرا كان يمنع اهله واقرباءه ابتغاء وجه الله ، وانا اعطي أهلي واقربائي ابتغاء وجه الله »[16] • وكانت سياسة عثمان هذه من اهم العوامل التي عابه المسلمون من اجلها لا سيما ان سلفه كان حريصا على بيت المال ، فكان يقول « اربع من امر الأسلام لست مضيعهن ولا تاركهن لشيء ابدا ، القوة في مال الله ، وجمعه اذا جمعناه وضعناه حيث امر الله وقعدنا آل عمر ليس في ايدينا ولا عندنا منه شيء »[17] • وكان لين عثمان موضع تخوف عمر فقال « فأن ولي عثمان فرجل فيه لين ••• »[18] •

وقد رأى قادة قريش عامة وبني امية خاصة ان لين عثمان وتساهله في حقوق بيت المال خير معين لها على تحقيق مآربها التي تتلخص في اعادة نفوذها السابق ، واحتجان ثروة المسلمين لأغراضها الخاصة •

---

(١٦) الطبري ، ج٣ ، ص٢٩١ •
(١٧) ايضا ، ص٢٩٢ •
(١٨) ايضا ، ص٢٩٢ •

يقول طه حسين « ان عثمان كان عليه ان يسلك احدى سبيلين لا ثالثة لهما : أما ان يشتد كما اشتد عمر فيمسك زعماء المهاجرين في المدينة ، ويظهر لعامة قريش ما كان يظهر لها عمر من سوء الظن بها ... واما ان يلين فيخلي بين قريش وبين الطريق تمضي فيها الى غير غاية لا حد لطمعها . وسنرى ان عثمان قد اختار الثانية راضيا او مكرها عليها »(١٩) .

الفتوحات في عهد عثمان :

لقد استمر المسلمون في فتوحاتهم في عهد عثمان ، فأتموا فتح ايران وقضوا على مقاومة الفرس في الأقسام الشرقية من البلاد .

ولم يقتصر المسلمون في هذا الدور على الحروب البرية بل شنوا حروبا بحرية ايضا . وقد استطاع معاوية ، والي عثمان على الشام ، ان يستفيد من خبرة السوريين في بناء السفن ، وينتفع بوفرة الأخشاب الضرورية لبنائها في سورية فبنى اسطولا اسلاميا ضخما . وفي الوقت نفسه كان ولاة عثمان على مصر يعملون على تقوية الأسطول الأسلامي . وكان اهتمام المسلمين في تقوية الأسطول نتيجة لهجمات الروم على سواحل سورية ومصر من جهة ، ورغبة في فتح بلاد جديدة وخاصة البحرية منها من جهة اخرى .

ومن اهم المعارك البحرية التي حدثت بين الروم والمسلمين في عهد عثمان هي معركة ذات الصواري . وكان عدد سفن الأسطول الروماني (٥٠٠) سفينة . وكانت تلك المعركة من المعارك الشديدة حتى اصبحت جثث الرجال ركاما على رواية الطبري . وكان النصر فيها للمسلمين رغم تفوق الأسطول الروماني من حيث العدد والعدة . وكان لهذه المعركة اهمية كبرى لأنها اظهرت قدرة المسلمين على صد هجمات الروم البحرية ، كما

---

(١٩) الفتنة الكبرى ، ص٨٤ ؛ وفلهاوزن ، الدولة العربية وسقوطها ، ص٣٩ .

انها كانت فاتحة لشن حملات بحرية منظمة موجهة نحو عاصمة الروم •

الثورة على عثمان :

يمكن تلخيص اسباب الثورة المذكورة بما يلي :

١ ـ لقد نقل الكثيرون على عثمان نتيجة لسياسة الترف التي فشت في عهده •

٢ ـ تذمر كثير من أهل الامصار والاعراب والطبقات الفقيرة في الحجاز لأسباب مالية في الغالب • وقد ظهر للعرب من سكان الأمصار وللأعراب من سكان البوادي ايضا ان ثمرة الفتوحات التي تمت بسيوفهم اصبحت نهبا بيد الطبقة الغنية من قريش[٢٠] وبني امية خاصة • وقد اتضحت النتيجة المذكورة بعد توقف الفتوحات ومعها الغنائم في اخريات عهد عثمان • ويقول فلهاوزن في هذا الصدد « وطالما كانت الغنيمة ••• تتدفق من غير انقطاع الى ايدي الجند من طريق الحملات الحربية المتواصلة ، فأنهم كانوا لا يبالون ولا يهتمون ان تضع الحكومة يدها على الفيء وعلى الناس وعلى الممتلكات الثابتة في البلاد المغلوبة ••• اما الآن فقد ادركوا انهم ••• قد تركوا غيرهم ••• يستحوذ على خير ما في الغنيمة »[٢١] •

٣ ـ لقد رأى عثمان ان يوجد نسخة موحدة للقرآن ويجعل المسلمين في جميع الأمصار يعتمدونها دون غيرها • وكان نبل القصد يحدو الخليفة للقيام بالعمل المذكور الذي من شأنه حفظ وحدة كتاب الله الكريم• وتمخض عمل عثمان هذا عن حفظ القرآن من الأختلافات المحلية التي تسربت للكتب المقدسة في الأديان الأخرى • وبالرغم من حسن نية عثمان في عمله المذكور كانت نتيجته وبالا عليه ، اذ ان القرّاء ، وهم طبقة مارست

---

(٢٠) الطبري ، ج٣ ، ص٤٢٦ •
(٢١) الدولة العربية وسقوطها ، ص٤١ •

نفوذا ، بحكم كونها مفسرة للقرآن ، على عامة الناس ، لم يعجبهم عمل عثمان لأنه حرمهم من نفوذهم فحرضوا الناس على الخليفة واشتركوا بالثورة ضده .

٤ ـ تذمر بعض الصحابة من سياسة عثمان ، وكان اشد المنتقدين لسياسته عبدالرحمن بن عوف في آخر حياته ، وابو ذر الغفاري وعمار بن ياسر وطلحة والزبير. وكان ابو ذر من اشد المنتقدين لسياسة عثمان وسياسة ولاته وخاصة تصرفاتهم المالية . وقد اغدق عثمان الأموال على بني امية فأعطى مروان بن الحكم مبالغ كبيرة من بيت المال ، واعطى اخاه الحارث (٣٠٠) الف درهم . وعندما عوتب ابو ذر على نقده لعثمان قال لئن ارضي الله بسخط عثمان احبّ الي من ان ارضي عثمان بسخط الله .

اما دور عبدالله بن سبأ في تحريض المسلمين على عثمان فهو امر الى الخرافة اقرب منه للحقيقة . وقد تمخضت العوامل المذكورة عن ثورة عارمة اسفرت عن نجاح الثوار ومقتل الخليفة .

وكان اضعاف القوة المعنوية للمدينة ، ورجحان كفة الأمصار التي تستند على قوتها العسكرية من اهم نتائج الثورة على عثمان . ولتفصيل ذلك نقول ، لقد تكونت في المدينة بعد هجرة الرسول (ص) اليها طبقة من اصحابه استمدت قوتها من تقواها، واعتماد الرسول على افرادها وتزكيته لأعمال الكثيرين من افرادها . وكان كثير من افراد الطبقة الجديدة لا يمتون بصلة لأرستقراطية قريش التي حكمت مكة في الجاهلية ، يضاف الى ذلك انها كانت تشعر ان تقدمها وقوتها يتوقفان على تطبيق مفاهيم الأسلام ومثله ، لذا كان تقدمها واتساع نفوذها موضع تذمر وحسد من جانب ممثلي العهد القديم وزعمائه من بني امية . وقد تمكن ممثلو العهد الجديد من الأسهام الفعلي في ايصال الخلفاء الثلاثة الأول الى الحكم من جهة ، وفي تكوين رأي عام في المدينة له تأثير في حكمهم وفي قرارتهم المهمة . واخذ

نفوذ ممثلي العهد الاسلامي الجديد يتقلص شيئا فشيئا بعد ان برز قادة بني امية الى الصفوف الأولى في حكم الدولة خلال خلافة عثمان • وبعد ان اشتدت مطالبة اهل الأمصار بالأشتراك بالحكم مستفيدين من وقوع عثمان تحت سيطرة الأمويين ، وبعد ان تكللت جهودهم بالنجاح حين ازاحوا الخليفة عثمان بالقوة ، اصبحت السيطرة للقوة التي يملكها اهل الأمصار دون المدنية التي كانت تستمد قوتها من نفوذها المعنوي بالدرجة الأولى • وهكذا اصبحت القوة في المستقبل هي التي تأتي بالخليفة وليست البيعة التي كان لها القول الفصل في حالة الخلفاء الثلاثة الأول •

خلافة الأمام علي (ع) :

بويع علي بالخلافة بعد مقتل عثمان دونما معارضة • ويقول المؤرخ الفرنسي سيديلو ، نقلا عن امير علي ، « كان يخيل للمرء ان الجميع سينحنون ، عند مبايعتهم علياً بالخلافة ، أمام هذه العظمة البالغة الطهر والجلال ، ولكن المقدّر كان غير ذلك »[٢٢] •

وكان علي كارها للبيعة في بداية الأمر • ولكنه قبلها تحت الحاح الصحابة قال الطبري « سأل علياً اصحاب رسول الله (ص) ان يتقلد لهم وللمسلمين فأبى عليهم فلما ابوا عليه وطلبوا اليه تقلد ذلك لهم »[٢٣] •

ويبدو ان الخليفة الجديد كان يشعر ان من بين اسباب سخط المسلمين على سلفه هو تصرفه ببيت المال دون رضاهم ، لذا خطب فيهم قبل البيعه فقال « اني قد كنت كارها لأمركم فأبيتم الا ان اكون عليكم ، وانه ليس لي امر دونكم ، الا ان مفاتيح مالكم معي ألا وانه ليس لي أن اخذ منه درهما دونكم رضيتم قالوا نعم • قال اللهم اشهد ثم بايعهم »[٢٤] •

---

(٢٢) مختصر تاريخ العرب ، ص٥٦ •
(٢٣) تاريخ الرسل والملوك ، ج٣ ، ص٤٥٠ •
(٢٤) ايضا ، ج٣ ، ص٤٥١ •

وما كاد الخليفة الجديد يصل الى الحكم حتى احاطه بنو امية بكرههم وحسدهم ، وانقلب عليه طلحة والزبير انقلابا كبيرا[٢٥] ، وكان ولاء كثير من الأعراب مشكوكا فيه . وكان معظم الأعراب قد ثاروا على عثمان رغبة في التخلص من سلطة قريش فلم يرضهم ان يروا قرشيا جديدا على منصة الحكم . ويرى دي غويه ان الذين اغتالوا عثمان هم انفسهم الذين اغتالوا علياً[٢٦] .

ورأى الخليفة ان يعزل ولاة عثمان الذين نقم الناس عليهم لسوء تصرفهم . وكان اجراؤه المذكور موضع جدل بين المؤرخين . وروى المؤرخون قصة مشورة المغيرة بن شعبة للأمام علي وملخصها انه اشار عليه في ابقاء ولاة عثمان وخاصة معاوية حتى يستقيم له الأمر ، وان علياً لم يقبل نصيحة المغيرة بذلك[٢٧] .

واتهمت طائفة من المؤرخين المحدثين ، معتمدين على قصة مشورة المغيرة وامثالها من القصص علياً بقصر النظر بالسياسة واري ان قصة مشورة المغيرة موضوعة ، وان اتهام علي بقصر النظر في السياسة لا يصمد للنقد للأسباب الآتية :

١ ـ ان المعارضة التي اطاحت بحكم عثمان لا تسمح بالتعاون مع ولاته لسوء سيرتهم ، ولتصرفهم بأموال المسلمين كما سبق ان وضحنا ذلك ، فكيف يستطيع الخليفة الجديد ان يقرهم في مراكزهم دون التعرض لخطر استمرار الثورة عليه[٢٨] . وكاد الثوار يملكون زمام الامور في المدينة حين بويع الخليفة . يضاف الى ذلك ان الخليفة الجديد كان

---

(٢٥) فلهاوزن ، المصدر السابق ، ص٥٢ .

(٢٦) مادة خلافة ، الموسوعة البريطانية .

(٢٧) الطبري ، ج٣ ، ص٤٦١ .

(٢٨) الدوري ، عبدالعزيز ، مقدمة في تاريخ صدر الأسلام (بغداد ، ١٩٤٩) ص١٤ .

حريصا على اقامة العدل لذا يصعب عليه التعاون مع ولاة عثمان •

٢ ـ ان انتقال الامام علي للعراق وتركه المدينة يدل على بعد نظر في السياسة ، لان العراق كان المركز الحقيقي لانصاره ، هذا من جهة ومن جهة أخرى ان ثروة البلاد وقوة قبائلها وكونها مركزا للجيش تجعلها من اصلح المراكز لمقاومة معاوية الثائر في الشام • وكان لدى الثائر المذكور من العدة ما يصعب على أهل الحجاز وعاصمتهم المدنية التغلب عليه •

٣ ـ ان المثل الاسلامية العليا لعلي (ع) املت عليه الخطوط العامة لسياسته وجعلته يعزف عن المصانعة ومدراة الخصوم وعلى رأسهم ولاة العهد السابق • ومن الملاحظ ان المثل المذكورة كانت بعيدة عن فهم الاعراب والقبائل العربية في الامصار وخاصة العراق لذا كان الامام يسعى لتطبيق مثله الاسلامية بمعونة اتباع لا تدين اكثريتهم بالولاء لتلك المثل ، ولا هي مستعدة للتضحية في سبيلها • روى الكشي ان الامام الباقر قال لهشام الكابلي « كان علي بن أبي طالب (ع) عندكم بالعراق يقاتل عدوه ومعه اصحابه ، وما كان فيهم خمسون رجلا يعرفونه حق معرفته ، وحق معرفته امامته »(٢٩) •

حروب الأمام علي :

١ ـ حرب الجمل •

لقد خرج الزبير وطلحة لحرب الخليفة في البصرة رغم مبايعنهما اياه ، وقد ايدتهما ام المؤمنين عائشة (ر) • وتمكن الخليفة من اخماد ثورتهما • وعندما سئل علي (ع) عن أسباب قتاله لأهل البصرة قال « قتلوا شيعتي وعمالي ••• وقاتلوا عمالي وفي أعناقهم بيعتي »(٣٠) •

---

(٢٩) الرجال (كربلاء ، لا • ت •) ص١٢ •

(٣٠) المنقري ، واقعة صفين (القاهرة ، ١٣٦٥هـ) ص٧ •

صفين :

اتخذ الامام علي الكوفة عاصمة له ، وبعد ان كسب معركة الجمل استتب له الامر في جميع أنحاء البلاد الاسلامية سوى الشام التي يحكمها معاوية . وعند اعلان بيعة الخليفة الجديد ، امتنع معاوية عن البيعة وأخذ يستعد لمقاومته . وقد جرت مفاوضات بين الفريقين ولكنها لم تسفر عن نتيجة ذوقعت معركة صفين المشهورة . وكانت الاوضاع السياسية التي جرت فيها المعركة في صالح معاوية . يقول الدكتور طه حسين ان عثمان هو الذي مهد لمعاوية ما اتيح له من نقل الخلافة ذات يوم الى آل سفيان وتثبيتها في بني امية ، فلما كانت البيعة نظر معاوية فأذا هو ابعد الامراء بالولاية عهدا ، واقواهم جندا ، واملكهم لقلب الرعية(٣١) . ويرى فلهاوزن ان عرب سوريا كانوا اكثر العرب تفهما للنظام ، اعتادوا ذلك عندما كانوا تحت حكم الرومان ، وكان ذلك من العوامل المساعدة على نجاح معاوية(٣٢) .

وقد كان جند علي (ع) على عكس جند معاوية من حيث التقييد بالنظام واطاعة القائد ، وكان الخليفة يتمنى ان يستبدل بعشرة منهم واحدا من جند معاوية . (تقرأ تفصيلات حرب صفين في الطبري ج ٣ ، ص ٥٦٠ وفي بداية الجزء الرابع منه ؛ وفي فلهاوزن ، الدولة العربية وسقوطها ص ٤٢ ـ ٥١ الترجمة العربية ، والخوارج والشيعة ، ص ٣ وما بعدها) .

وكادت معركة صفين ان تنتهي لصالح الخليفة لولا مهزلة رفع المصاحف التي قيل ان عمرو بن العاص مثلها على مسرح تلك المعركة . يقول فلهاوزن « كانت لمعركة صفين نتائج بالغة الخطورة ، تلك المعركة التي خدع فيها الظافر عن ظفره ... فحينما لاح خطر الهزيمة رفع

---

(٣١) الفتنة الكبرى ، ص١٢ .

(٣٢) الدولة العربية وسقوطها ، ص٤٨ .

أهل الشام المصاحف ... فأحدثوا في أهل العراق الأثر المطلوب ... حقا ان علياً [ع] قد ادرك الحيلة ، بيد انه لم يستطع ان يبدد مفعولها ، بل هدد شخصيا لما حاول ذلك »[٣٣] .

وروت المصادر ان الحرب بين الخليفة ومعاوية انتهت بالتحكيم الذي لم يكن علياً (ع) راغبا فيه[٣٤] ، ان صحت قصة حصوله ، كما انه لم يثق بأبي موسى الاشعري ولم ينتخبه ممثلا عنه . روى ابن قتيبة ان علياً قال « ان الانصار والقراء اتوني بأبي موسى فقالوا ابعث هذا فقد رضيناه ولا نريد سواه ... »[٣٥] .

وهكذا غلب أهل العراق في صراعهم مع أهل الشام أو على الاقل خسروا المعركة ، ونتج عن ذلك ان الخلافة ومعها بيت المال انتقلت من الكوفة الى دمشق ، وقد اقضى ذلك مضاجع الكوفيين بعد ان سبق السيف العذل ، فكانوا أصحاب الدولة واذا بلدتهم الآن تتدنى فتصبح مجرد مصر من الامصار . وفي الوقت الذي كانت فيه قوة الخليفة تضعف رويدا رويدا بسبب الثورات الداخلية كثورة الخوارج وغيرها ، أخذت قوة معاوية تنمو حتى اذا ما استشهد الخليفة علي (ع) بيد أحد الخوارج تمت الغلبة لمعاوية وبهذا انطوى عهد الخلفاء الراشدين وبدأ عهد الامويين الذي قلما طبقت فيه العدالة والمثل التي تضمنتها مبادىء الاسلام .

ويوضح لنا الدوري طبيعة النزاع بين علي ومعاوية بقوله ان الصدام « بين علي ومعاوية كان صداماً بين ممثلي تيارين ، ممثل التيار الاسلامي يسير على سياسة اسلامية في وسط قبلي فيصطدم بظروفه وبخصمه في آن واحد . وممثل التيار القبلي يسير على سياسة قبلية في وسط قبلي فلا غرابة

(٣٣) الخوارج والشيعة ، ص٣ .
(٣٤) المسعودي ، مروج الذهب، ج٢ (القاهرة ، لا٠ت٠) ص٢٨١ .
(٣٥) الأمامة والسياسة ، ج١ (القاهرة ، لا٠ت٠) ص١٢٢ .

ان انتصر معاوية فالظروف والأوضاع كانت مواتية له » .

وكان انتصار معاوية انتصارا مطلقا للتيار القبلي ، وقد جاء الامويون على هذا الاساس ، فكانت دولتهم نتيجة طبيعية لتطور الاوضاع العامة في عصر الراشدين بدون ان يحصل انقطاع في التطور التاريخي »[٣٦] .

---

(٣٦) الدوري ، عبدالعزيز ، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، ص ٧٢ .

الفصل الرابع

الحياة السياسية والفكرية في صدر الاسلام

توطئـــة :

اتخذ الرسول (ص) خلال السنوات العشر التي عاشها في المدينــة تدابير كانت تستهدف وضــع الاسس الرئيسة لكيان الامــة الاسلامية ، وتحقيق وحدتها الداخلية • وكان القرآن ، وهو دستور الاسلام ، منبع التشريع المدني والجزائي للدولة الجديدة • لذا أصبح الاتجاه الاسلامي يمثل قوة نامية ، ويسيطر على معظم شؤون الحياة في المجتمع الجديد • واستطاع الرسول (ص) بعبقريته الفذة ، وبتسديد من الله ان يضع الدستور المذكور موضع التنفيذ •

وكان نظام المؤاخاة المستند الى اساس ديني من أهم التدابير التي اتخذها الرسول في المدينة • واستهدف الرسول (ص) من وضع نظـام المؤاخاة توثيق الروابط بين المهاجرين والانصار من جهة وحل الضائقة المالية للمهاجرين من جهة أخرى •

ثم عقد الصحيفة بين المهاجرين والانصار ، وجعل اليهود طرفا فيها وكانت الغاية منها تنظيم شؤون المجتمع المدني العسكرية والمدنية • ووصف الرسول (ص) بالصحيفة بأنه المرجع الاعلى في المدينة ، وانه رئيس الامة الاسلامية التي يتكون اعضاؤها من الافراد لا القبائل • وضرب الرسول (ص) بتأكيده على عضوية الفرد دون القبيلة نظام القبيلة الذي كان أساس الفوضى في بلاد العرب قبل الاسلام • وأصبح الثأر من واجب الجماعة ، أي الامة ، لا من واجب الافراد كما كان فيما مضى • واستحالت عندئذ

فكرة الثأر الى عقوبة مدنية •

حكومة الخلفاء الراشدين :

كان الخليفة هو الرئيس الاعلى للحكومة ، وكان يستنير بآراء كبار الصحابة في قضايا المجتمع المهة • ففي عهد ابي بكر كان عمر (ر) مشيره الاول ، وكان يستشير علي بن أبي طالب (ع) ومعاذ بن جبل في القضايا الفقهية • وعندما أراد عمر ان يتخذ حادثة بمثابة بداية للتاريخ الاسلامي أشار عليه علي (ع) باتخاذ هجرة الرسول (ص) للمدينة فاتخذها للغرض المذكور •

وكان الخليفة يختار بالانتخاب نظرياً على الاقل ، وقد بقي اثر هذا المبدأ حتى في أيام الخلافة الوراثية وذلك بواسطة البيعة التي تعطى للخليفة عند توليه الحكم • وكان الخليفة نائب النبي والامين على الشريعة ، كما انه قائد الجيوش الاعلى أي أمير المؤمنين • وللخليفة رئاسة الصلاة العامة •

اما فيما يتعلق بالضرائب فقد وضعت التشريعات الخاصة بالزكاة والغنيمة في عهد الرسول (ص) • وفي خلافة عمر وضعت اسس ضريبتي الجزية (ضريبة الرؤوس) والخراج (ضريبة الارض) ، ولكن التفريق المذكور بين الضريبتين لم يصبح واضحا الا في عهد متأخر • وقد انشأ عمر دواوين الجند بالعربية كما نقش هو وعثمان وعلي عبارات عربية على النقود الفارسية والبيزنطية • وجعل عمر الارض الزراعية في البلاد المفتوحة ملكا للامة الاسلامية ، ومنع بيعها رغبة في حماية سكانها الاصليين من تملك العرب الفاتحين لارضهم من جهة ، ولبقاء العرب امة مقاتلة ليكون بمقدورها حماية البلاد الاسلامية من جهة أخرى •

التعليم :

لقد عدّ القرآن الكريم ، شأنه في ذلك شأن الكتب المقدسة

الأخرى[١] ، التعليم من وظائف النبي (ص) وعمله ، اذ يقول « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة .. »

ولم يكن التأكيد على اهمية التعليم والتعلم مقتصرا على القرآن الكريم بل وردت أحاديث عديدة تشيد بفضل العلماء وتجعل طلب العلم أفضل من العبادة . فقال الرسول (ص) : « فضل العلم خير من فضل العبادة »[٣] . كما قال : « يوزن يوم القيامة مداد العلماء مع دم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء »[٤] . وقال (ص) لعلي (ع) : « لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير من ان يكون لك حمر النعم »[٥] . وقال (ص) : « العالم والمتعلم شريكان في الاجر ولا خير في سائر الناس »[٦] . وقال الامام علي (ع) : « ما اخذ الله العهد على أهل الجهل ان يتعلموا حتى أخذ العهد على أهل العلم ان يعلموا »[٧] . وقال النبي (ص) : « من حق الولد على والده ثلاثة يحسن اسمه ويعلمه الكتابة .. »[٨]

ولست هنا بصدد مناقشة الاحاديث المذكورة من حيث الصحة أو

---

(١) ورد في انجيل مرقص (١ : ٢١) ان المسيح (ع) « دخل المجمع في السبت وصار يعلم » وجاء في انجيل لوقا (٢ : ٤٨) ان المسيح لما غاب عن يوسف ومريم « وجداه في الهيكل جالسا في وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم وكل الذين سمعوا بهتوا من فهمه وأجوبته » .

(٢) البقرة : آية ١٢٨ .

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، ص١٨٨ .

(٤) السهمي ، تاريخ جرجان ، حيدر آباد ، ١٩٥٠ ، ص ٥٢ .

(٥) الشهيد ، منية المريد في آداب المفيد والمستفيد ، النجف ، ١٣٦٩ ، ص ١١ .

(٦) الشهيد ، ن٠م ، ص ١٣ .

(٧) الماوردي ، أدب الدين والدنيا ، القاهرة ، ١٣١٨ ، ص ١٢ .

(٨أ) الطبرسي ، مكارم الاخلاق ، القاهرة ، ١٣١١ ، ص ٧٤ .

الوضع ، ولكن هـذا لا يمنع من ان اشـير الى ان بعضها يعود لعصور متأخرة • وسواء أكانت هـذه الاحاديث كلهـا صحيحة أو ان بعضهـا موضوعة ، فانها تمثل وجهة نظر الاتقياء والمحدثين المسلمين عما يجب بذله من العناية والاهتمام في ناحية مهمة من نواحي حياة الامة الثقافية الا وهي التعليم وضرورة العناية به • يضاف الى ذلك ان اعتقاد هؤلاء الاتقيـاء بأن النبي محمـد (ص) بعث « على فترة من الرسـل وقلة من العلم »[٨] جعلهم يرون ان نشر تعاليم الدين الجديد وهداية الناس الى معرفة ربهم وأمور دينهم من الامور التي تكسب المرء رضا ربه •

وقبل ان اورد تفصيلات عن التعليم في عهـد الرسول والراشدين أود أن ابدي بعض الملاحظات عن النصوص التي ذكرتها أعلاه • أولا ـ ان عبارة « العلم » الواردة في نص الطبري السابق لا تعني فقدان المعرفة أو قلتها بصورة عامة بل تعني قلة المعرفة بالدين وخاصة نكران وحدانية الله عز وجل • ولذا لا يمكن ان تحمل هذه العبارة على انها تعني ظهور الاسلام في محيط اهله غير متعلمين ، لان الكتابة كانت شائعة في الحجاز عند ظهور الاسلام ، ولان جماعة من أهل العلم كانت تسكن في مكة وان أبا طالب (ر) شاورهم عند ظهور النبي (ص) فيها[٩] • وبالرغم من ذلك فان الدعـوة الجديدة كانت بمثابة حافز على التعليم والتعلم وانهـا ساعدت على توسع حلقة المشتغلين بالعلم • والواقع ان الدين الجديد هيأ جوا احدث ثورة في عالم الثقافة في الحجاز وخاصة فيمـا يخص تعليم القرآن وتعلمه كما وضعت في هذا العصر بذور علم الحديث التي اينعت في العصور الاسلامية التالية ونتج عنها علم من أجل العلوم الاسلامية وهو علم الحديث •

(٨ب) الطبري ، تأريخ الرسل والملوك ، ج ٢ ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، ص ١١٥ •

(٩) اليعقوبي ، التأريخ ، ج ٢ ، النجف ، ١٣٥٨ ، ص ١١ •

ثانيا ـ ان الحديث النبوي الذي جعل تعلم الكتابة حقا من حقوق الولد على والده يعدّ من النصوص المهمة التي تشير الى اهتمام الدعوة الجديدة في التعليم لا بمظهره الديني حسب ، بل بمظهره الزمني إذ ان تعلم الكتابة لا يمكن ان يكون غرضه معرفة الله ومعرفة نواهيه وأوامره فقط بل يمكن ان يخدم الانسان في دنياه وآخرته على السواء • يضاف الى ذلك ان صيغة الحديث التي جعلت تعليم الكتابة حقا توحي بأن هذا التعليم يرتقي الى مصاف الامور المفروضة على الاب تجاه ربه وولده وليس من الامور المستحبة التي ينقصها عنصر الالزام •

وبعد ايراد الملاحظات العامة السابقة نقول يظهر ان الرسول (ص) قد اظهر في عهد مبكر اهتماما خاصا في التعليم وعدّه وسيلة من الوسائل الضرورية لنجاح الدعوة الجديدة ، وعنصرا من العناصر المكونة لها • فأرسل مصعب بن عمير مع من بايعه بالعقبة الاولى « وامره ان يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين ، فكان يسمى المقريء في المدينة »[10] •

وبعد ان انتصر المسلمون في معركة بدر جعلوا فداء الموسر من الاسرى أربعين وقية من فضة[11] • ويساوي هذا المبلغ « ٤٠٠٠ » درهم[12] وطلب النبي (ص) ممن يعجز عن دفع الفداء من الاسرى ان يعلم عشرة من أولاد المسلمين القراءة والكتابة • ويظهر من هذا الاستبدال ان المجتمع الاسلامي في المدينة كان مستعدا لقبول تعلم ولد من أولاده مقابل التنازل عن (٤٠٠) درهم • واذا علمنا ان المسلمين في أول عهدهم في المدينة كانت فيهم حاجة الى المال ، نقدر مدى استعدادهم للبذل في سبيل التعليم •

---

(١٠) ابن هشام ، السيرة ، ج ٢ ، القاهرة ، ١٩٣٦ ، ص ٧٦ •
(١١) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٢ ، ليدن ، ١٣٢٢ ، ص ١٤ •
(١٢) الطبري ، تأريخ الرسل والملوك ، ج ٢ ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، ص ١٦١ •

ويبدو ان الرغبة في التعليم والتعلم كانت ترافق الدعوة الى الاسلام في كثير من الاحيان • وهناك أمثلة كثيرة تؤيد ذلك • فبعد ان انصرف الرسول (ص) من معركة احد جاءه وفد من احدى القبائل « فقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما وخيرا فأبعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرؤننا القرآن ويعلموننا شرائع الاسلام فبعث رسول الله (ص) معهم نفرا •• »[١٣] •

وطلب النبي (ص) من معاذ بن جبل ان يبقى في مكة بعد فتحها لكي يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن »[١٤] • وعندما بعث النبي (ص) خالد بن الوليد الى أهل نجران ليدعوهم الى الاسلام قال له « اقم فيهم وعلمهم كتاب الله وسنة نبيه ومعالم الاسلام »[١٥] •

وبعد ان عاد وفد بني الحارث ارسل الرسول أحد بني النجار « ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة ومعالم الاسلام »[١٦] • وجاء جماعة للرسول (ص) فبعث معهم عباد بن بشر وطلب منه ان « يعلمهم شرائع الاسلام ويقرئهم القرآن »[١٧] • وقد حث الرسول (ص) المسلمين على التعلم وشجعهم على التعليم فقال « من يرد الله به خيرا يفقهه بالدين ، وانما العلم بالتعلم »[١٨] •

وروى مالك بن الحويرث ان النبي (ص) قال لاصحابه « ارجعوا

---

(١٣) الطبري ، ن٠م ، ج ٢ ، ص ٣١٣ ـ ١٤ •
(١٤) الطبري : ٢ : ٣٦٢ •
(١٥) الطبري : ٢ : ٣٨٥ •
(١٦) الطبري : ٢ : ٣٨٧ •
(١٧) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٢ ، ص ١١٦ •
(١٨) ابن حجر ، العسقلاني ، شرح البخاري ، ج ١ ، القاهرة ، ١٣١٩ ، ص ١١٨ •

الى اهليكم فعلموهم »[١٩] • ولم يكتف النبي (ص) بحث المسلمين على التعلم والتعليم بل كان يمارس التعليم عن طريق العمل • فمرة جاء رجل يسأل رسول الله (ص) عن دينه فأتى النبي « بكرسي فقعد عليه فجعل يعلمه ••• »[٢٠]

وقال عبدالله بن مسعود لاصحابه في الكوفة اني « قرأت من لسان رسول الله (ص) سبعين سورة ••• »[٢١] • وقد روى الطبري عن احدهم انه قال : « حدثنا الذين كانوا يقرئوننا انهم كانوا يستقرئون من النبي (ص) فكانوا اذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعلموا بما فيها من العمل ، فتعلمنا القرآن والعمل جميعا »[٢٢] • وقال عبدالله بن عباس « كان رسول الله (ص) يعلمنا التشهد كما يعلمنا القرآن »[٢٣] • وقال ابي بن كعب : « رجعت الى المسجد فسمعت رجلا يقرأ ، فقلت من اقرأك قال رسول الله (ص) »[٢٤] •

ولم يقتصر تعليم الرسول على الرجال من المسلمين بل كان يخصص بعض أوقاته لتعليم النساء • وفي مرة قال النساء للنبي (ص) « غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن »[٢٥] • وقد اسهم عدد من الصحابة (ر) في تعليم المسلمين القرآن الكريم والحديث وغير ذلك • وكان من اشهر هؤلاء علي بن أبي طالب (ع) وعبدالله بن عباس وعبدالله بن مسعود وزيد بن ثابت وغيرهم رضى الله عنهم •

---

(١٩) ابن حجر ، ن•م ، ج ١ ، ص ١٣٣ •
(٢٠) ابن حجر ، ن•م ، ج ١ ، ص ١٠٦ •
(٢١) الطبري ، التفسير ، ج ١ ، القاهرة ، ١٣٧٤ ، ص ٢٨ •
(٢٢) التفسير ، ج ١ ، ص ٨٠ •
(٢٣) السهمي ، ن•م ، ص ٢٨٩ •
(٢٤) الطبري ، التفسير ، ج ١ ، ص ٣٢ •
(٢٥) ابن حجر ، ن•م ، ج ١ ص ١٤١ •

فأهل العراق مثلا كانوا « يقرأون بقراءة ابن مسعود بينما أهل الشام يقرأون بقراءة ابي بن كعب »[٢٦] • وكان زيد بن ثابت يكتب العربية والعبرانية ويتولى المراسلة بين اليهود والرسول (ص) في المدينة[٢٧] • ويظهر ان زيدا هذا كان ذا ثقافة عالية فعهداليه أبو بكر (ر) برئاسة اللجنة التي تولت جمع القرآن الكريم[٢٨] • وعندما استعرض النبي (ص) بعض الصحابة من العلماء قال : « افرضهم زيد بن ثابت واقرأهم ابي [بن كعب] واعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل » ثم قال ان علياً اقضاهم[٢٩] •

اما الامام علي (ع) فقد اسهم بنصيب وافر في التعليم في هذه الفترة ويعود ذلك الى الاسباب الآتية :ــ

أولا ــ سعة اطلاع الامام علي (ع) وغزارة معرفته • وقال احدهم « سمعت علياً (ع) يقول ان في صدري هذا لعلما جما علمنيه رسول الله (ص) » • وقال الرسول (ص) لعلي « ان الله أمرني ان اعلمك وان تعي »[٣٠] •

ثانيا ــ كان علي (ع) من اكثر الناس ملازمة للرسول (ص) ولذا تيسر له ان يتعلم منه كثيرا من أمور دينه ودنياه • ويروي الشافعي ان علياً كان حريصا « على متابعة النبي والتعلم منه وكان رسول الله (ص) ••• شديد الحرص على تربية علي والاشفاق في تعليمه وارشاده الى اكتساب

---

(٢٦) الطبري ، التفسير ، ج ١ ، ص ٦٠ •
(٢٧) البلاذري ، فتوح البلدان ، الطبعة الاوربية ، ص ٤٧٣ ــ ٤ •
(٢٨) البخاري ، الصحيح ، ٦ : ٩٥ •
(٢٩) الشافعي ، محمد بن طلحة ، مطالب السؤال في مناقب آل الرسول ، طهران ، ١٢٧٨ ، ص ١٣٠ •
(٣٠) الشافعي ، ن•م ، ص ٢٢ •

الفضايل ••• »[٣١] • وقال انس بن مالك : « قيل يا رسول الله عمن نكتب العلم بعدك قال عن علي وسلمان ••• »[٣٢] •

ثالثا ـ ان ابتعاد الامام علي (ع) عن السياسة طيلة حكم اسلافه من الخلفاء الراشدين جعله يتفرغ للتعليم والارشاد • وكان علي قد وقف نفسه خلال هذه الفترة على طلب العلم[٣٣] • وسنشير الى جهود الامام علي التعليمية في اماكنها من الصفحات التالية •

أمكنة التعليم في هذا العهد :

أولا :ـ الكتّاب • يظهر ان الكتاب كان معروفا في الحجاز قبل ظهور الرسالة النبوية الكريمة • وقد وردت اشارة في البلاذري يستدل منها على وجود مؤسسات للتعليم الاولي في الحجاز قبل الاسلام ، فيروي ان رجلا أتى الى وادي القرى « فاقام بها وعلم الخط قوما من أهلها »[٣٤] • وقال أبو نضرة اسلم علي (ع) وهو ابن اربع عشرة سنة وكان له يومئذ ذوابة يختلف الى الكتاب »[٣٥] • وعندما احتاجت ام سليم الى احد يعاونها في نفش الصوف ارسلت الى معلم الكتاب تقول له : « ابعث لي غلمانا ينفشون صوفا ولا تبعث الي حرّا »[٣٦] وفي خلافة عثمان (ر) « جعل المعلم يعلم قراءة الرجل ، والمعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون ، حتى ارتفع ذلك الى المعلمين ••• »[٣٧] •

---

(٣١) الشافعي ، ن•م ، ص ٢٦ •
(٣٢) السهمي ، حمزة بن يوسف ، تأريخ جرجان ، ص ٢٤ •
(٣٣) علي ، السيد أمير ، مختصر تأريخ العرب ، بيروت ، ١٩٦١ ، ص ٥٦ •
(٣٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، القاهرة ، ١٩٠١ ، ص ٤٧٧ •
(٣٥) المفيد ، الفصول المختارة ، من العيون والمحاسن ، ج ٢ ، النجف ، ص ٦٦ •
(٣٦) البخاري ، الصحيح ، ج ٤ ، القاهرة ، ١٩٣٢ ، ص ١٣١ •
(٣٧) الطبري ، التفسير ، ج ١ ، ص ٦٢ •

وروى ابن عبد ربه ان عبدالله بن صفوان لام عبدالله بن جعفر بن أبي طالب على حضور الملاهي ، فقال له عبدالله بن جعفر : « وانت يا صفوان صرت حجة لصبياننا علينا ، اذا لمناهم في ترك المكتب ... »[٣٨] .

ويظهر من هذه الامثلة ان الكتاتيب كانت موجودة في الحجاز قبل الاسلام . وبعد ظهور الدعوة الاسلامية استمرت هذه الكتاتيب في عملها كما ازداد عددها وتنوعت مواد مناهجها بوجود القرآن والاحاديث النبوية الشريفة وغيرها من مستلزمات الدين الجديد ومتطلبات الدولة الجديدة وخاصة تهيأة كتّاب لديوان الجند الذي انشأه عمر (ر) في المدينة . ويعتقد الاستاذ جبرائيل جبور ان الكتاتيب انتشرت ليس في المدينة في أواخر عصر الراشدين حسب بل في معظم حواضر الحجاز[٣٩] . ويظهر ان بعض الكتاتيب المذكورة كانت بقايا لمؤسسات التعليم الاولية بما فيها اليهودية ، في مكة ويثرب وما جاورهما . وتنطبق هذه القاعدة على معظم المؤسسات الثقافية في كثير من العصور والامكنة وذلك ان المؤسسات القديمة تحور مناهجها وطرق تدريسها لتسد حاجات العصر الجديد ، أو انها تبقى بجانب المؤسسات الجديدة ان وجدت ضرورة لبقائها . ويظهر ان مؤسسات التعليم اليهودية قد اندثرت في الحجاز في هذا العصر كلية وذلك لاسباب منها ان الرسول (ص) لم ينظر بعين الرضا للاهتمام في الكتب المنزلة غير القرآن . وفي مرة رأى النبي (ص) في يد عمر (ر) ورقة من التوراة فغضب حتى تبين الغضب في وجهه[٤٠] . يضاف الى ذلك ان اليهود هاجروا من المدينة بعد اندحارهم في حروبهم مع الرسول (ص) كما ان عمر بن الخطاب (ر) اجلى يهود وادي القرى ونصارى نجران من بلاد العرب واستند

---

(٣٨) العقد الفريد ، ج ٢ ، القاهرة ، ١٢٩٣ ، ص ١٥٢ .
(٣٩) عصر ابن أبي ربيعة ، ج ١ ، بيروت ، ١٩٣٠ ، ص ١٣٠ .
(٤٠) ابن خلدون ، المقدمة ، القاهرة ، ١٩٣٠ ، ص ٣٦٦ .

في اجرائه هذا على حديث قيل ان الرسول (ص) قال فيه « لا يبقى دينان في أرض العرب »[٤١] .

ثانيا ـ المسجد . كان التعليم ، وخاصة التعليم العالي منه من الفعاليات التي تتم في المسجد خلال هذا الدور . وفي عصور متأخرة اقتصر المسجد على التعليم العالي دون الاولي . وبعد ان تأسست المدارس في القرنين الرابع والخامس للهجرة أخذ دور المسجد يتضاءل حتى في التعليم العالي وذلك لاسباب لها علاقة في مناهج وطرق التدريس وغير ذلك من أمور ذات صلة في التعليم لا مجال لشرحها في هذا المقال .

كان الرسول (ص) يعلم أصحابه القرآن والحديث في مسجده بالمدينة . قال ابي بن كعب : « رحت الى المسجد فسمعت رجلا يقرأ ، فقلت من أقرأك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم »[٤٢] وعن ابي أيضا قال « كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة انكرتها عليه ثم دخل رجل آخر فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه فدخلنا جميعا على رسول الله (ص) .. »[٤٣] . وخرج رسول الله (ص) ذات يوم فرأى مجلسين احدهما يدعون الله والثاني يعلمون الناس فقال : « اما هؤلاء فيسألون الله تعالى فان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم[٤٤] ... »

ويظهر ان المسلمين كانوا يجتمعون حول الرسول (ص) على شكل حلقة في المسجد فيعلمهم القرآن ويفقههم في الدين ، ففي مرة جاء ثلاثة نفر الى المسجد فوقفوا على رسول الله « فاما احدهما فرأى فرجة في الحلقة

---

(٤١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٤ ، ٦٦ .
(٤٢) الطبري ، التفسير ، ١ : ٣٢ .
(٤٣) الطبري ، ن.م ، ١ : ٣٦ .
(٤٤) الغزالي ، احياء العلوم ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٣٣ ، ص ١٠ .

فجلس فيها ... »[٤٥] .

اما المواضيع التي كان يعلمها الرسول أصحابه في المسجد فيظهر ان أهمها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف . فقال عبدالله بن عباس : « كان رسول الله (ص) يعلمنا التشهد كما يعلمنا القرآن .. »[٤٦] . وكان النبي (ص) « يبين المجمل ويميز الناسخ والمنسوخ ويعرفه أصحابه »[٤٧] . وروت عائشة ان عبدالله بن عمر (ر) « قد حمل عن النبي (ص) علما كثيرا ... »[٤٨] . وجعل النبي (ص) طلب العلم فريضة على كل مسلم[٤٩] . ومسلمة على رواية أخرى .

ويظهر لي ان العلم الذي قصده الرسول (ص) في الحديث هو العلم الشرعي . ومن الادلة على ذلك ان الرسول (ص) دخل مرة في المسجد فوجد شخصا يحدث الناس عن انساب العرب ووقايعها وأيام الجاهلية والاشعار والعربية فقال (ص) : « ذاك علم لا يضر من جهله ولا ينفع

(٤٥) البخاري ، الصحيح ، باب فضل العلم .
(٤٦) السهمي ، تأريخ جرجان ، ص ٢٨٩ .
(٤٧) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٦٨ .
(٤٨) مسلم ، الصحيح ، ج ٢ ، ص ٤٦٥ .
(٤٩) ذكر الغزالي في الاحياء (ص ١٢) تفصيلات وافية عن العلم وأقسامه كما بين اختلاف الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم . وقال انهم اختلفوا فيه أكثر من عشرين فرقة ، وان كل فريق يرى ان المقصود هو العلم الذي هو بصدده . فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد ، وقال الفقهاء هو علم الفقه ، وقال المفسرون والمحدثون علم الكتاب والسنة ، وقال المتصوفة ان المراد به علم التصوف . وذكر المفيد (ص ٢٦٥) في كتابه الموسوم بالارشاد المطبوع بطهران (١٣٧٧) ، ان الامام الصادق (ع) قال « وجدت كلام الناس كلهم في أربع ، أولها أن تعرف ربك ، والثاني أن تعرف ما صنع بك ، والثالث أن تعرف ما أراد منك ، والرابع أن تعرف ما يخرج عن دينك ، وهذه الاقسام تحيط بالمفروض من المعارف » .

من علمه ، وانما العلم ثلاثة : آية محكمة أو فريضة عادلة أو سنة قائمة وما خلاها فهو فضل ••• »[٥٠] وقال علي بن موسى الرضا (ع) : « تعلموا العلم فان تعلمه حسنة ومدارسته تسبيح •• لانه معالم الحلال والحرام ••• »[٥١] يضاف الى ذلك ان تفاسير معظم الفقهاء والمحدثين نوحي الى ان المقصود بكلمة « علم » الواردة في الحديث هو العلوم الشرعية أو بالاحرى المقدار الضروري منها لكل مسلم ومسلمة • فمسلم مثلا قصد بـ « العلم » الحديث النبوي حين أفرد بصحيحه باباً خاصا أسماه « باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم »[٥٢] اما الغزالي فيروي ان رسول الله (ص) « أراد بالعلم المعرف بالالف واللام في قوله (ص) طلب العلم فريضة على كل مسلم ، علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير ••• »[٥٣] وعندما يفسر المجلسي الحديث المذكور يقول : « ولا شك في وجوب طلب القدر الضروري من معرفة الله وصفاته وساير أصول الدين ومعرفة العبادات وشرايطها والمناهي ولو بالاخذ عن عالم عينا والاشهر بين الاصحاب ان تحصيل ازيد من ذلك اما من الواجبات الكفائية أو من المستحبات »[٥٤] •

وبالرغم من ان التأكيد كان بالدرجة الاولى على معرفة ما هو ضروري من القرآن والسنة ، وان معرفة هذا المقدار يعد من الفروض ، فأن النبي (ص) والخلفاء الراشدين والفقهاء (ر) أولوا النواحي الاخرى من المعرفة كبير اهتمامهم فقد دعا الرسول (ص) مرة لمعاوية فقال : « اللهم

---

(٥٠) الكليني ، ن•م ، ص ١٢ •

(٥١) الشهيد ، زين الدين ، منية المريد ، النجف ، ١٣٦٩ ص ١٥ •

(٥٢) صحيح مسلم ، ج ٢ ، ص •

(٥٣) الاحياء ، ص ١٥ •

(٥٤) بحار الانوار ، ج ١ ، ص ٥٦ •

علمه الكتاب والحساب »[٥٥] . وقد ضاعف النبي (ص) الاجر لرجل « كان عنده امة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فاحسن تعليمها ... » وقد توسع العسقلاني في تفسير الحديث سالف الذكر فجعله يشمل الحرائر أيضا[٥٦] .

وكتب عمر بن الخطاب (ر) الى ساكني الامصار : « اما بعد فعلموا أولادكم العوم والفروسية . ورووهم ما سار من المثل وحسن من الشعر »[٥٧] . وقال الامام علي (ع) كانت الحكماء فيما مضى تقول يحسن بالانسان ان يسعى الى « أبواب العلماء الذين يستفاد منهم علم الدين والدنيا »[٥٨] . وقال الشافعي : العلم علمان علم الفقه للاديان وعلم الطب للابدان وما وراء ذلك بلغة مجلس[٥٩] .

اما المواد المستعملة في التعليم : أ ـ اللوح . كان اللوح معروفا عند العرب في العهد الجاهلي والدليل على ذلك ورود ذكره في القرآن الكريم من جهة واستعماله للكتابة في عهد الرسول (ص) من جهة أخرى . وذكر الكليني ان علياً (ع) قال عندما جمع القرآن « هذا كتاب الله ... وقد جمعته من اللوحين ... »[٦٠] . وقال سلم العلوي « رأيت ابان بن أبي عياش يكتب عند انس بن مالك في سبورجه يعني الواحا »[٦١] .

ب ـ الرق ـ وقد ورد ذكره في القرآن الكريم : « والطور وكتاب

---

(٥٥) الجاحظ ، البيان والتبين ، ج ٢ ، القاهرة ، ١٩٣٢ ص ١١٦ .
(٥٦) ابن حجر ، ن.م ، ١ : ١٣٧ .
(٥٧) الجاحظ ، البيان والتبين ، ج ١ ، ص ١٧٩ .
(٥٨) القمين ، الخصال ، ج ٢ ، طهران ، ١٣٢٠ ، ص ٤٨ .
(٥٩) الزرنوجي ، تعليم المتعلم ، القاهرة ، ١٩٣٥ ، ص ٧ .
(٦٠) أصول الكافي ، ص ٤٥٣ .
(٦١) الخطيب ، تقييد العلم ، ص ٧٢ .

مسطور في رق منشور »[٦٢] . والرق هو الاديم أو الادم وهو نوع من الجلد . وكان الامام علي بن أبي طالب يحتفظ بصحيفة كتب فيها أحاديث عن النبي (ص) . ويجعل الكليني طول هذه الصحيفة سبعين ذراعا . ويوجد مع هذه الصحيفة الجفر وهو وعاء من ادم[٦٣] . وقال زيد بن ثابت في حديثه عن جمع القرآن : فأمرني أبو بكر (ر) فكتبته في قطع الادم وكسر الاكتاف والعسب »[٦٤] . ويظهر ان قطع الادم التي كانوا يكتبون عليها كانت على أنواع ومن أهمها الخولاني . وفي مرة خطب مروان بن الحكم وذكر مكة وأهلها وحرمتها فناداه رافع بن خديج فقال « مالي اسمعك ذكرت مكة وأهلها وحرمتها ولم تذكر المدينة وأهلها وحرمتها ؟ وقد حرم رسول الله (ص) ما بين لابتيها[٦٥] . وذلك عندنا في أديم خولاني ان شئت أقرأ تكه »[٦٦] .

جـ ـ الكرانيف والعسب[٦٧] . يقول الطبري ان النبي (ص) قبض « ولم يكن القرآن جمع ، وانما كان في الكرانيف والعسب »[٦٨] .

د ـ الكتف . وكانت الاكتاف تشمل اكتاف الغنم والابل . روى الطبري ان رسول الله (ص) قال قبيل وفاته « أئتوني باللوح والدواة أو بالكتف والدواة اكتب لكم كتابا لا تضلون بعده »[٦٩] .

---

(٦٢) سورة الطور ١ ـ ٣ .

(٦٣) الكافي ، ص ٨٥ .

(٦٤) الطبري ، التفسير ، ١ : ٥٩ .

(٦٥) يقول الفيروزيادي (القاموس ، ١ : ١٢٩) حرم النبي (ص) ما بين لاتبي المدينة وهما حرتان تكتنفانها .

(٦٦) الخطيب ، ن.م ، ص ٧٢ .

(٦٧) الكرانيف جمع كرنافه وهي اصول السعف الغلاظ العراض التي اذا يبست صارت أمثال الاكتاف .

(٦٨) التفسير ، ١ : ٦٣ .

(٦٩) التأريخ ٢ : ص ٤٣٦ .

هـ ـ القلم : وقد ورد ذكره في الشعر الجاهلي وفي القرآن الكريم • وفي هذا دليل على شيوعه في بلاد العرب قبل ظهور الاسلام وقال شاعر من قبيلة اياد :

قومي اياد لو انهم أمم — أو لو أقاموا فتهزل النعم
قوم لهم ساحة العراق — ان ساروا جميعا والقط والقلم(٧٠)

وجاء ذكره في سورة القلم(٧١) أيضا •

و ـ الدواة : وقد ورد ذكرها في سورة القلم حين فسر عبدالله بن عباس كلمة نون » بالدواة(٧٢) • كما وردت الدواة بالحديث الذي أوردناه قبل قليل •

ز ـ الصحف : ويظهر انها كانت بمثابة الكتاب ، وقد وردت بالقرآن الكريم « واذا الصحف نشرت »(٧٣) • وفسر ابن عباس الصحف الواردة في هذه الآية بأنها ديوان الحسنات والسيئات(٧٤) • وقد وردت الصحيفة بمعنى مجموعة من الاحاديث ، فكان علي بن أبي طالب (ع) يحتفظ بصحيفة كما أسلفنا • ويقول الشيخ المفيد عن الصحيفة المذكورة ان عمر بن ابان قال « سألت أبا عبدالله عليه السلام [يقصد الامام الصادق (ع)] عما يتحدث الناس انه دفع الى أم سلمة (ر) صحيفة مختومة فقال ان رسول الله (ص) لما قبض ورث علي (ع) علمه وسلاحه وما هناك [يقصد ما في الصحيفة] ••• »(٧٤ب) وكذلك كان أبو بكر (ر) يحتفظ بمجموعة من

---

(٧٠) ابن هشام ، السيرة ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٣٧ ، ص ٤٨ •
(٧١) القلم : آية ١ •
(٧٢) الفيروزبادي ، محمد بن يعقوب ، تنوير المقياس من تفسير ابن عباس ، القاهرة ، ١٣٥٦هـ ص ٤٥١ •
(٧٣) التكوير ـ ٩ •
(٧٤أ) الفيروزبادي ، ن•م ص ٤٧٢ •
(٧٤ب) الارشاد ، ص ٢٥٨ •

الأحاديث ضمت خمسمائة حديث[٧٥] .

اما فيما يخص الطلبة والمدرسين من حيث طرق التدريس ، والسن ، وأوقات الدوام ، وما الى ذلك ، فليس لدينا عنها معلومات كافية ، على ما اعلم ، تمكننا من استخلاص قواعد عامة في هذا الخصوص . ومع ذلك فان الاشارات التي سأوردها هنا قد تساعد القاريء على استخلاص فكرة عن حالة الطلبة والمدرسين في هذا الدور .

يظهر ان طريقة المحاضرة في التعليم العالي كانت هي الشائعة ، كما ان الطريقة السقراطية كانت معروفة عندهم .

يقول الطبري ان الرسول (ص) لما هاجر من مكة الى المدينة وانتهى « الى النعيم أتاه بريده بن الحصيب فدعاه رسول الله (ص) الى الاسلام فأسلم .. وكان رسول الله (ص) قد علم ابن الحصيب ليلتئذ صورا من سورة مريم وقدم بريده بعد ان مضت بدر وأحد على رسول الله (ص) المدينة فتعلم بقيتها »[٧٦] . وكان علي (ع) اذا افرغ من الجهاد يتفرغ لتعليم الناس والقضاء بينهم[٧٧] .

ويظهر ان الرسول كان يراعي قدرة الطلبة على التعلم فقال لاصحابه « يسروا ولا تعسروا ... » . وقد تجنب النبي (ص) وعظ أصحابه في كل يوم لئلا يملوا . وعندما طلب أحد تلاميذ عبدالله بن عمر منه ان يذكرهم كل يوم قال : « اما انه يمنعني من ذلك اني اكره ان املكم واني اتخولكم بالموعظة كما كان النبي (ص) يتخولنا بها مخافة السآمة

---

(٧٥) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج ١ ، حذدر آباد ، ١٣٣٣هـ ، ص ٥ .

(٧٦) التفسير ، ج ١ ، ص ١٢١ .

(٧٧) الديلمي ، ارشاد القلوب ، ج ٢ ، بيروت ، مجهول التأريخ ، ص ١٢ .

علينا »[٧٨] • وكان تلاميذ عبدالله بن مسعود ينتظرونه ليخرج اليهم ويذكرهم[٧٩] • ويقول مسروق : « كان عبدالله [بن مسعود] يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامة النهار »[٨٠] •

وبعد ان زال خوف الرسول (ص) من اختلاط الحديث بالقرآن حث أصحابه على كتابة الحديث فقال « قيدوا العلم بالكتاب »[٨١] • ويقول الذهبي ان عبدالله بن عمرو بن العاص « كتب عن النبي (ص) علما كثيرا وكان يعترف له أبو هريرة بالاكثار من العلم وقال فانه كان يكتب عن النبي (ص) وكنت لا اكتب »[٨٢] •

وكان طبيعيا ان تكون اعمار الطلبة متفاوتة في هذا الدور تفاوتا كبيرا اذ ان بعضهم دخل الاسلام في سن الشيخوخة كأبي بكر وعثمان وسلمان الفارسي وغيرهم • وكان بعضهم في سن الشباب كعبدالله بن عمرو العاص وغيرهم • ومع ذلك فقال عمر بن الخطاب « قد تعلم أصحاب النبي (ص) في كبر سنهم »[٨٣] •

اما السلوك الذي يجب ان يسلكه الطالب تجاه استاذه فيظهر من وصية وجهها الامام علي (ع) الى طلبة العلم قال فيها « ان من حق العالم ان لا تكثر السؤال عليه ولا تسبقه في الجواب ولا تلح عليه اذا اعرض ولا تأخذ بثوبه اذا كسل ولا تشير اليه بيدك ولا تغمزه بعينك ولا تسارّه في مجلسه ولا تطلب عوراته وان لا تقول قال فلان خلاف قولك ولا تفش له سرا ولا تغتب عنده أحدا • وان تحفظ له شاهدا أو غايبا وان تعم

---

(٧٨) البخاري ، باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة • ص •
(٧٩) العسقلاني ، ابن حجر ، شرح البخاري ، ج ١ ، ص ١٢٠ •
(٨٠) الطبري ، التفسير ، ج ١ ، ص ٨١ •
(٨١) الجاحظ ، ن•م ، ج ٤ ، ص ٢٤ •
(٨٢) تذكرة الحفاظ ، ج ١ ، حيدرآباد ١٣٣٣هـ ص ٥ •
(٨٣) العسقلاني ، ن•م ، ج ١ ، ص ١٢١ •

القوم بالسلام وتخصه بالتحية وتجلس بين يديه وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته ولا تمل من طول صحبته فانما هو مثل النخلة فانتظر متى يسقط عليك منها منفعة والقائم بمنزلة الصائم القائم المجاهد في سبيل الله . واذا مات العالم انثلم في الاسلام ثلمة لا تسد الى يوم القيامة وان طالب العلم ليشيعه الف ملك من مقربي السماء »(٨٤) .

اما السن التي يذهب فيه الولد الى الكتاب في هذا الدور فليست لدينا عنها معلومات وافية ، على ما اعلم . ومع هذا فلدينا اشارات حول هذه الموضوع . روى الشيخ المفيد ان علياً (ع) كان يختلف الى الكتاب وعمره أربع عشرة سنة(٨٥) . وكان لعبدالله بن عباس طفل يختلف الى الكتاب وله عشر سنين(٨٦) .

وللدكتور شلبي رأي عن الكتاتيب في هذا الدور يقول فيه ان هناك نوعين من الكتاتيب احدهما لتعليم القراءة والكتابة والثاني لتعليم القرآن الكريم ومبادىء **الاسلام** .

ويرى ان اسرى بدر الذميّين هم الذين اضطلعوا بمهنة تعليم القراءة والكتابة في النوع الاول من الكتاتيب . ويعزز شلبي رأيه هذا باعتقاده ان مهنته تعليم الكتابة مهنة محتقرة وان من تعلم الكتابة من المسلمين لا يجلس مجلس معلم القراءة والكتابة(٨٧) . ويظهر ان هذا الرأي بعيد عن التدقيق **للأسباب الآتية** :

أولا ـ ان اضطلاع نفر من أسرى بدر بمهمة تعليم الخط كان

---

(٨٤) القمي ، الخصال ، ج ٢ ، ص ٩٣ .

(٨٥) الفصول المختارة ، ج ٢ ، ص ٦٦ .

(٨٦) ابن طاووس ، فرج المهموم في معرفة علم النجوم ، النجف ، ١٣٦٨ ، ص ١١٠ .

(٨٧) تاريخ التربية الاسلامية ، بيروت ، ١٩٥٤ ، ص ٢٣ .

مؤقتا فليس من الصحيح ان تنسب لهم تعليم الخط لفترة طويلة وعلى مقياس واسع •

ثانيا ــ كان معظم الذميين من اليهود الساكنين في المدينة وقد اجلي هؤلاء عنها بعد حروبهم مع النبي (ص) • كما ان اليهود والنصارى اجلوا من جزيرة العرب أو من الحجاز على الاقل في عهد عمر كما أسلفنا •

ثالثا ــ روي ان الرسول (ص) قال للشفاء العدويه « الا تعلمين حفصه رقنة النملة كما علمتها الكتابة »[٨٨] • ومن المعلوم ان تأييد الرسول (ص) لعمل ما واستحسانه له يجعله سُنة ولا نعتقد ان المسلمين يعزفون عن تعليم الكتابة مع ورود سنة في استحسانه •

رابعا ــ لقد شاهد جابر الانصاري لوحا في يد فاطمة (ع) • واللوح كما هو معلوم من أدوات تعليم الخط ، وان معلم فاطمة كان من المسلمين •

خامسا ــ لقد وردت اشارة الى ان علي بن أبي طالب (ع) كان يعلّم عبدالله بن عباس الخط • وقد قال له معلما اياه « يا عبدالله وسّع ما بين السطور واجمع بين الحروف وارع المناسبة في صورها واعط كل حرف حقها ••• »[٨٩] •

سادسا ــ يظهر ان الدكتور شلبي قد تأثر برأيه سالف الذكر برأي جماعة من المستشرقين الذي يتلخص في ان اليهود هم الذين تولوا في الغالب التعليم الأولي في المدينة في الفترة موضوعة البحث • ومن الامور التي ساقوها كدليل على رأيهم السابق هو ورود كلمة ربّاني لتعني المعلم « Teacher » الذي يتولى تعليم الصبيان[٩٠] • ويظهر ان المسلمين لم

---

(٨٨) البلاذري ، ن٠م ، ص ٤٧٧ •

(٨٩) الحسيني ، جعفر ، « القلم وما يسطرون » الغري ، تشرين الاول ، ١٩٤٣ •

(90) Shorter Encyclopiedia of Islam, p. 300.

يستعملوا كلمة ربّاني ليعنوا معلم الصبيان . فالأمام علي (ع) قرن كلمة ربّاني بكلمة عالم حين قال عالم رباني[٩١] . وقال ابن عباس : « كونوا ربّانيين فقهاء وعلماء ... »[٩٢] .

اما الجاحظ فقد عني بها الأدباء[٩٣] . ومن المعلوم ان العلماء والفقهاء يعلمون الحديث والفقه ، والادباء يعلمون الادب وغيره في المساجد ومجالس الادب ، وكل هؤلاء لا يعلمون الخط في كتاتيب الصبيان .

ويمكننا ان نستنتج مما ذكرناه عن التعليم في عهد الرسول (ص) ما يأتي :ـ

أولا ـ يظهر ان مواضيع الدراسة في هذه الفترة وخاصة في جزيرة العرب هي مبادىء القرآن والحديث ، وا نالعلم الذي جعله الرسول (ص) فريضة على كل مسلم ومسلمة ، هو ما كان ضروريا من القرآن والحديث لسد حاجة المسلم الاعتيادي من العبادة . وهذا امر طبيعي لان وظيفة الرسول (ص) وعمله هما ارشاد الناس الى معرفة الله واتباع اوامره ونواهيه بالدرجة الاولى .

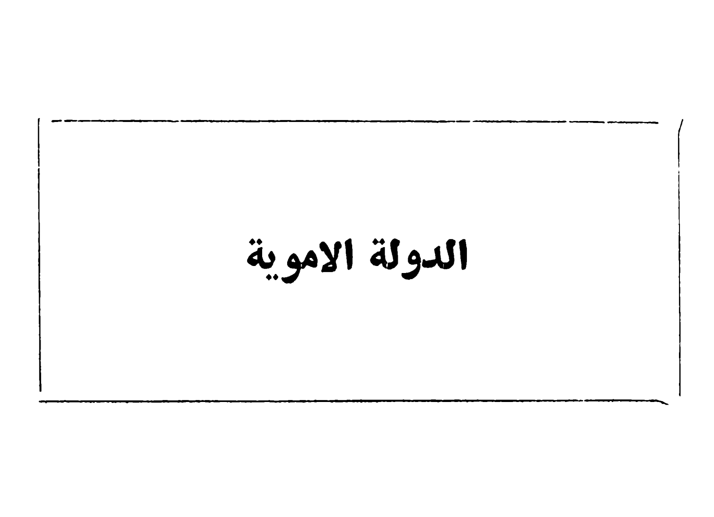
ثانيا ـ ان المجتمع الاسلامي الاول نشأ في بيئة ذات ثقافة غير معقدة لذا لم يواجه هذا المجتمع في عهده الاول حاجات ثقافية معقدة ولم تظهر هذه الحاجات الا في عصر متأخر وخاصة بعد ان احتك العرب المسلمون بالامم المغلوبة ذات الثقافة الراقية في الهلال الخصيب ومصر .

ثالثا ـ أخذت حاجات المجتمع الجديد تتعقد مع مرور الزمن نتيجة

---

(٩١) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٢ ، ص ١٨٠ .
(٩٢) العسقلاني ، ابن حجر ، ن.م ، ج ١ ، ص ١١٩ .
(٩٣) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٢٥٤ .

للتطورات الجديدة التي رافقت ظهور الاسلام وانتشاره بين جماعات كبيرة من الناس • فمعرفة القرآن كانت تتطلب من المؤمنين الجدد ان يعرفوا القراءة والكتابة واللغة العربية ، والاشتغال بمؤسسات الدولة يتطلب ، بالاضافة الى ما سبق ، الماما بسيطا في الحساب والنظم الادارية وغير ذلك من متطلبات العهد الجديد الذي أخذ يستقبل دورا حضاريا أكثر تعقيدا من الدور الذي سبقه • ودخول العرب المسلمين الى بلدان الشرق الاوسط ، ذات الحضارات العريقة ، كان محفزا لهم لان يجلسوا مجلس التلميذ لاقتباس ما كانوا يجهلونه من علوم وفنون • يضاف الى ذلك أنهم جلسوا مجلس الاساتذة ليعلموا سكان هذه البلدان ، ما جهلوه من أمور الدين الجديد واللغة الجديدة ونظم وعادات الدولة الجديدة الذين أصبحوا ، بحكم دخول بلادهم في حوزتها ، مواطنين فيها • وقد مهدت هذه التطورات جميعها لخلق حركة ثقافية نمت فيما بعد ونشأت عنها الثقافة الاسلامية العربية التي أصبحت من أهم الثقافات العالمية في العصور التالية •



الدولة الاموية

الفصل الخامس

معاوية وبنوه

توطئة :

لقد مرت مهزلة التحكيم دون ان تحل المشكلة التي ثارت الحرب من اجلها ، وبعد ان استشهد الخليفة الشرعي سنة ٤٠هـ بايع اهل الكوفة وما جاورها الحسن بن علي ، ولكن معاوية لم يمهل الخليفة الجديد فهاجم العراق واضطر الحسن ان يدخل حربا لم يكن مستعدا لها • وحالما اقتربت جيوش معاوية من العراق ظهرت بوادر العصيان في جيش الحسن • وعندما شعر الحسن بضعف جيوشه ، وقلة اخلاصهم لقضيته مال الى مصالحة معاوية • وعقدت اتفاقية بين الطرفين التزم فيها معاوية ان يعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، وان الخلافة له ما دام حيا ، وان يكون الناس آمنين حيث كانوا من أرض الله ، والا يولي احدا بعده •

وحالما تم النصر لمعاوية شعر العراقيون بخيبة امل شديدة ، وادركوا خطأهم لتقاعسهم عن نصرة العلويين ، وظهر لهم ان انتصار معاوية يعني انتصار أهل الشام على أهل العراق ، وانهم أصبحوا مجرد اتباع للامويين في الشام ، وان بلادهم أصبحت مجرد ولاية تابعة لدمشق بعد ان كانت مركزا للخلافة •

معاوية :

بويع بالخلافة سنة ٤٠هـ • واهتم معاوية بتهدئة الامور الداخلية فزار الكوفة ، ثم عمل على تصفية الخصوم مرة بالوعد واخرى بالوعيد وثالثة بالسم ، حتى استتبت له الامور • وأول عمل قام به الخليفة معاوية أنه

نقل مركز الخلافة من الكوفة الى دمشق • واظهر معاوية براعة خاصة في سياسته مع بني امية فأبعدهم ، الا فيما ندر ، عن الحكم ولم يسمح لهم بالخروج من دمشق الا في الحالات الاضطرارية • ولم تكن صلات معاوية حسنة بآل بيت الرسول (ص) وبطائفة من آل الصحابة والانصار أيضا[١] •

عمــــاله :

كان كبــار ولاة معاوية من غير الامويين ، بل هــم لم يكونوا من قريش ، اذا استثنينا واحدا منهم • وكان معاوية قادرا على معرفة من يصلح لخدمته ويستطيع التعاون معه • وكان زياد بن ابيه من اشهر ولاة معاوية واقدرهم • والحقه معاوية بنسبه بالرغم من مخالفة ذلك الاجراء لقواعد الاسلام[٢] •

وعهد معاوية لزياد بولاية البصرة ثم ضم اليه الكوفة فيما بعد • وعمل زياد على تهدئة الاوضاع بالكوفة ، وكلفه ذلك مقتل عدد من زعماء شيعة علي وعلى رأسهم حجر بن عدي الذي امر الخليفة معاوية بقتله مع عدد من أصحابه بنـاءاً على اقتراح زياد واليه على الكوفة • « واشتد غضب الشيعة خصوصا لقتل حجــر • وكان استشهاده مقدمة لاستشهاد السبط الشهيد ، الا وهو الحسين بن علي (ع) »[٣] •

وكان لسياسة الشدة التي اتبعها زياد ضد شيعة علي (ع) في العراق اثر في تكتلهم من جهة ، وازدياد النقمة على حكم بني امية من جهة أخرى •

وقام زياد بأصلاحات واجراءات ادارية منها اصلاح مسجد الكوفة وذلك حين أمر بالقاء الحصى في مسجدي الكوفة والبصرة • ويقول البلاذري « ان الناس كانوا يصلون فأذا رفعوا ايديهم وقد تربت نفضوها فقال زياد :

---

(١) فلهاوزن ، المصدر السابق ، ص ١٣١ •
(٢) المسعودي ، مروج ، ج ٢ ، ص ٣١٠ ــ ١١ •
(٣) فلهاوزن ، الخوارج والشيعة ، ص ١٥٩ •

ما اخوفني ان يظن الناس على غابر الايام ان نفض الايدي سنة في الصلاة فزاد المسجد ووسعه ، وامر بالحصى فجمع والقي في صحن المسجد »[٤] •

وقسم زياد جند الشرطة في الكوفة أربعة أقسام ، في كل قسم منها تتمثل القبائل المختلفة ، من غير ان يكون على رأسهم رئيس القبيلة ، بل رئيس تعينه الحكومة • اما في تقسيم جند البصرة تقسيما مماثلا الى خمسة أقسام ، فقد كانت الصبغة القبلية اكثر ظهورا • ويعدّ الاجراء المذكور من الامور التي اضعفت سلطة رؤساء القبائل •

ونقل زياد خمسين الفا من أهل الكوفة والبصرة بعيالاتهم الى خراسان واسكنهم فيما وراء النهر • ومن المحتمل ان زيادا أراد من حركته المذكورة ان يشجع عوامل التعريب في خراسان • أو ابعاد القبائل التي يخاف منها •

وكان المغيرة بن شعبة من بين ولاة معاوية على الكوفة • وكان المغيرة متهماً في خلقه متساهلا في ادارته ، ولكن اخلاصه لوظيفته جعل معاوية يبقيه في الولاية لفترة طويلة • اما قصة مشورة المغيرة لمعاوية بشأن تولية يزيد العهد فهي ضعيفة لان قضية حصر الحكم في بني امية كانت من أركان سياسة معاوية ولا يمكن ان تكون فكرة طارئة اوحاها المغيرة لمعاوية ، لكنها وافقت هواه وكان بحاجة الى استمالة الزعماء لها •

اما علاقة معاوية بعمرو بن العاص فقد كانت اعمق واقوى من العلاقة بين خليفة وامير • وكان عمرو يشعر بأنه صاحب حق في ولاية مصر نظرا للخدمات الجليلة التي اسداها لمعاوية خلال نزاعه مع علي (ع) • ويظهر من الروايات ان الثقة كانت معدومة بين الاثنين وكان احدهما يخشى الآخر[٥] ، ولكن المصالح المشتركة جعلتهما يعملان سوية لاسترجاع

---

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٧٦ •
(٥) المسعودي ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ •

سلطة قريش وزعامة بني امية التي فقدت نتيجة لظهور الاسلام •

استئناف الحرب بين المسلمين والروم :

لقد استطاع المسلمون في عهد الخلفاء الراشدين ان يحتلوا ولايات مهمة من املاك الامبراطورية البيزنطية • وعند قيام الحرب الاهلية بين الخليفة الرابع ومعاوية صالح الاخير امبراطور الروم على مقدار من المال يدفعه له سنويا • وامتنع معاوية عن دفع المال واستعد لحرب الروم بعد ان استقرت له الامور في الداخل •

وفي سنة **٦٦٣**م استأنف العرب هجومهم في آسيا الصغرى في عهد الامبراطور قسطنطين الرابع ، واستمروا على مهاجمة الامبراطورية الرومانية في كل سنة خلال ال **(١٥)** سنة التي تلت ذلك التاريخ •

وفي سنة **٦٧٤**م حاصر المسلمون القسطنطينية واستمروا في هجومهم خلال السنوات التالية ، ولكن جهودهم لم تفلح في فتح المدينة المذكورة • وكانت أسباب فشلهم تعود الى :

أولا ـ قوة اسوار القسطنطينية ، ووجود المآصر عند مدخل القرن الذهبي وكانت تلك المآصر تعيق مرور السفن الى داخل الخليج •

ثانيا ـ وجود النار الاغريقية التي اخترعها مهندس من أصل سوري ، وهي عبارة عن مواد قابلة للاشتعال كان يرميها الروم على سفن المسلمين فتحرق تلك السفن وتعيق سير الهجوم •

ثالثا ـ وجود جماعة من الاباطرة الاقوياء امثال قسطنطين الرابع • وعمل اولئك الاباطرة على تهيئة وسائل الدفاع عن امبراطوريتهم •

رابعا ـ ادخال نظام المقاطعات التي تدار بواسطة حاكم يتمتع بالسلطتين المدنية والعسكرية ، وهو ما يعرف بـ « Themes » • وساعد النظام

المذكور على سهولة الدفاع واتخاذ تدابير ادارية وعسكرية سريعة لحماية البلاد من هجمات العرب .

وكان لنجاح اباطرة البيزنطيين في رد هجوم المسلمين أيام معاوية اثر في تقوية مركزهم في الداخل وفي رد هجمات اعدائهم في الغرب . ومع ذلك فقد اظهر معاوية حزما كبيرا في حربه مع البيزنطيين ، وكاد يفتح عاصمتهم . ويقول فلهاوزن حارب معاوية الروم طوال حكمه في البحر والبر بحماسة ومواظبة تفوق كل من خلفه »[٦] . ولم يثن العرب فشلهم في فتح القسطنطينية خلال عهد معاوية عن تكرار هجماتهم عليها ، فأرسلوا حملة مهمة بقيادة مسلمة بن عبدالملك كما سنرى فيما بعد .

وكانت الحرب سجالا بين الفريقين ، وكانت تشتد وتضعف تبعا للظروف الداخلية والخارجية لكل فريق من الفريقين .

ومن الجدير بالذكر ان العلاقات بين الروم والعرب ما كانت مقتصرة على الحروب فقط في الفترة موضوع البحث ، بل كانت هناك علاقات حضارية مهمة بين الفريقين . وقد اهملت المصادر ، في الغالب ، التحدث عن العلاقات الحضارية بين الروم والعرب وركزت اهتمامها في النواحي السياسية . واقتبس الامويون من الحضارة البيزنطية طريقة بناء الطرق وادامتها ، ونظام البريد ، واقامة الابنية التي تمثل اهتمام الخلفاء بشؤون الدين امثال قبة الصخرة في القدس . يضاف الى ذلك ان نوعا من الصلات التجارية كانت موجودة بين الروم والعرب في العهد الاموي ، ولم تنقطع تلك الصلات رغم استمرار الحرب بين الفريقين المتجاورين .

عهد يزيد بن معاوية :

عهد معاوية بالخلافة لابنه يزيد . وقد واجهت معاوية صعوبات في

---

(٦) فلهاوزن ، الدولة العربية وسقوطها ، ص ١٠٧ .

محاولته لحصر الخلافة في عائلته منها :ـ

١ ـ مخالفة التقاليد الاسلامية • لم يعترف الاسلام بجعل الحكم ملكا بشريا يدعيه الانسان بحق الوراثة ، وانما الحكم لله يتولاه افضل المسلمين • وقد برر الفقهاء الحكم الوراثي في الاسلام بوجود البيعة التي يتلقاها الحاكم عند توليه الحكم •

٢ ـ مخالفة التقاليد العربية : تبيح التقاليد المذكورة انتقال الحكم في أفراد القبيلة أو في العشيرة ، ولا تبيح انتقاله من الاب الى ابنه •

٣ ـ صفات يزيد الشخصية • رأت الغالبية العظمى من المتدينين ان صفات يزيد الشخصية لا تؤهله للخلافة • ووجد معاوية صعوبة في حمل الطبقة المذكورة على مبايعة يزيد ، واستعمل لذلك القوة تارة ، والمال والدهاء السياسي تارة أخرى •

ووجد معاوية اشد الصعوبات في فرض بيعة يزيد على أهل الحجاز وخاصة أهل المدينة لان فيها بقية اولاد المهاجرين والانصار امثال الحسين ابن علي وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر وغيرهم ، وقد امتنع الحسين وابن الزبير عن البيعة ليزيد رغم تهديدات معاوية •

وبعد ان تولى يزيد الحكم اولى المدينة كبير اهتمامه وطلب من واليه هناك ان يهتم بأخذ البيعـة من اهلها وخاصة من الحسين بن علي وابن الزبير •

فاجعة كربلاء :

امتنع الحسين عن قبول بيعة يزيد وترك المدينة متوجها الى مكة ، وقد وردته هناك كتب من أهل العراق جاء في احدها : « بسم الله ••• للحسين بن علي من شيعته في العـراق ••• اما بعـد ••• فأن الناس ينتظرونك لا امام لهم غيرك ••• » فما كان من الحسين الا ان وجه لهم

مسلم بن عقيل ليمهد السبيل فوجد عددا كبيرا من المؤيدين وبايعه أهل الكوفة وعندما أراد مهاجمة عبيدالله بن زياد عامل يزيد هناك تركوه وحيدا فقتل •

وبعد برهة قصيرة وصل الحسين الى العراق مع عدد قليل من آل بيته وصحبه فالتقى بجيش الحكومة بقيادة عمر بن سعد في كربلاء ، وكانت النتيجة ان استشهد الحسين هو ومن معه في العاشر من المحرم سنة **٦١**هـ (**١٠** تشرين الاول **٦٨٦**م) • واستعملت السلطات الاموية أنواع القسوة مع الثائرين •

وبالرغم من القضاء على ثورة الحسين (ع) عسكريا فأن لاستشهاده ، كما يقول فلهاوزن معنى كبيرا في مثاليته ، واثرا بالغا في الشيعة[٧] • ويقول حتي وفلهاوزن أيضا ان لمقتل الحسين اثرا كبيرا في استدرار عطف كثير من المسلمين على آل البيت مما اكسب الشيعة قوة لا يستهان بها •

ويقول أمير علي ان مذبحة كربلاء روعت العالم الاسلامي بأسره[٨] •

موقعة الحرة :

نقم أهل المدينة على سياسة يزيد فثاروا عليه ، فأرسل لهم جيشا قويا قضى على مقاومتهم في معركة تعرف بمعركة الحرّة • وقتل في المعركة كثير من ابناء المهاجرين والانصار • ويقول ابن قتيبة ان عددا كبيرا من أهل المدينة قد قتل • ونهبت المدينة ثلاثة أيام « وفضحت النساء ونهبت الاموال »[٩] •

---

(٧) الدولة العربية وسقوطها ، ص ١٤٤ •
(٨) مختصر تاريخ العرب ، ص ٩٣ •
(٩) ابن قتيبة (المنسوب) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٩ •

يزيد وعبدالله بن الزبير :

لقد كان ابن الزبير يطمع بالخلافة ، وتقوى مركزه بعد مقتل الحسين لان ابن الزبير لا يتمتع بالمؤهلات التي يتمتع بها الحسين ، يضاف الى ذلك ان فاجعة كربلاء اضرت بسمعة الامويين وجعلت كثيرا من المسلمين ينتقدون حكمهم • ومال كثير من الناس لابن الزبير ورأوا انه جدير بالخلافة[١٠] •

ولم يظهر ابن الزبير عصيانه في أول الامر ، واحتمى في مكة لاعتقاده ان قدسية مكة تحميه من سيوف بني امية • واظهر ابن الزبير ، لاسباب سياسية ، أسفه واستنكاره لمقتل الحسين •

وكان مروان بن الحكم يعمل على افساد العلاقة بين ابن الزبير ويزيد رغبة في التخلص من الاثنين معا •

وحصلت مفاوضات بين ابن الزبير ويزيد ولكنها لم تسفر عن نتيجة ، فحاصرت جيوش الحكومة مدينة مكة • وبعد فترة من حصار ابن الزبير في مكة توفي يزيد فبايع أهل الشام ابنه معاوية الذي لم يلبث ان تنازل عن الحكم • وقد فاوض الحصين بن نمير ، قائد جيش يزيد ، ابن الزبير ، وعرض عليه البيعة بالخلافة على ان يذهب معه الى الشام ، فرفض ابن الزبير الطلب المذكور ، وكان مصيبا في رفضه لان انصاره في الشام كانوا ضعفاء ولا يمكن ان يجازف بالذهاب اليها • ومع ذلك فأن ابن الزبير اخطأ بتركه مهاجمة الشام ، وبذا مكن الامويين بزعامة مروان وعبدالملك من استجماع قواهم والقضاء على اخيه مصعب في العراق ثم القضاء على عبدالله بن الزبير نفسه في مكة •

ومن الجدير بالذكر ان ابن الزبير لم يسهم اسهاما فعالا في الصراع

---

(١٠) فلهاوزن ، الدولة العربية وسقوطها ، ص ١٤٥ •

الذي جرى في العالم الأسلامي بعد وفاة يزيد • فهو لم يشترك شخصيا في المعارك المهمة وترك ذلك لاخيه مصعب الذي كان يدير العراق بصورة شبه مستقلة عن اخيه عبدالله الذي بقي قابعاً في مكة •

وبالرغم من ذلك فأن عبدالله بن الزبير حاول ان يعيد اهمية الحجاز السياسية والاقتصادية التي فقدها بعد مقتل عثمان ، ولكن نجاحه في هذا المضمار كان محدودا •

حركات الخوارج والشيعة :

أ ـ الخوارج :

نقم جماعة من جيش علي (ع) عليه لانه قبل التحكيم بعد معركة صفين ، وسمي هؤلاء فيها بعد بالخوارج • وثار الخوارج على علي فقاتلهم وهزمهم في معركة تعرف بمعركة النهروان • واستأنف الخوارج ثوراتهم في عهود مختلفة خلال حكم الامويين • وعلينا ان نلاحظ نقطتين مهمتين عند بحثنا لحركات الخوارج :

أ ـ عارض الخوارج عثمان وعلياً والامويين ، ويعني ذلك انهم كانوا يعارضون النظام الاجتماعي القائم ، ولا يعارضون فردا أو عائلة معينة • وكان علي (ع) ، في نظرهم ، ينتسب كعثمان الى ارستقراطية قريش ، لذلك قادهم تفكيرهم البدوي الى انه يمثل سيطرة قريش على بقية القبائل العربية •

ب ـ يظهر ان ثورات جماعات الخوارج شبيهة بثورات جماعات البدو التي كانوا في الاصل ينتسبون اليها •

وقد تكيف مبدأ الخوارج فيما بعد وظهر بينهم بعد سنة **٦٨١**م جماعتان احداهما تميل الى الاعتدال ، والاخرى بزعامة نافع بن الازرق ، متطرفة • وأباح المتطرفون خاصة لانفسهم قتل من خالفهم من المسلمين ، فقالوا ان

المسلم الحقيقي هو الذي ينخرط في سلكهم ، اما القاعدون فليسوا بمسلمين وللخوارج قتلهم واسترقاقهم •

ويبدو مما سبق ان الخوارج كونوا وحدة اجتماعية لا تختلف عن القبيلة من حيث الحجم والتكوين ، كما انها تعيش على الغارة واخذ الاتاوة • وقد يؤكد ما سبق الفرضية القائلة بأن حركة الخوارج ما هي الا حركة انعاش للبداوة العربية • ومع ذلك فأن حركتهم تختلف عن حركة البداوة لان أساسها الدين لا القرابة • وقد ارتبط الازارقة بحرف القرآن ، اما الاباضية والصفرية فقد استنكروا قتل المسلمين من غير الخوارج وقالوا بوجوب التقية في العقائد ، وقالوا انهم لا يوجدون في دار الاسلام أو العلانية حيث تطبق عقيدتهم ، بل في دار الخوف لذا جازت التقية في العقائد •

ويمكننا ان نصف حركات الخوارج بأنها غير ناضجة وتكون محدودة بعكس حركات الشيعة التي كانت تستهدف الاطاحة بالسلطان الاموي •

ب ـ الشيعة :

ظهر جماعة من المسلمين في عهد النبي (ص) عرفوا بشيعة علي بن ابي طالب (ع)[١١] • وعندما بويع علي بالخلافة انضم تحت لوائه شيعته وغيرهم من المسلمين ، وبعد مقتل علي واستشهاد الحسين (ع) اكتسب التشيع قوة عظيمة ، وأصبح القائلين به من اشد المعارضين لحكم بني امية • ويعتقد الشيعة الذين عرفوا فيما بعد بالامامية ان امامة الامة الاسلامية منحصرة في علي (ع) وفي سلسلة الائمة المعصومين من ابنائه من فاطمة بنت النبي (ص) • وظهر بين الشيعة من اجازوا ان تكون الامامة بعد الحسين الى اخيه محمد بن علي (ع) المعروف بابن الحنفية • وعرف هؤلاء

---

(١١) النوبختي ، فرق الشيعة (استانبول ، ١٩٣١) ص ١٥ •

بالكيسانية • ثم ظهرت جماعة من الشيعة قالت بأمامة زيد بن علي بن الحسين ، وعرف هؤلاء بالزيدية • وقامت الجماعات الشيعية المذكورة خلال العهد الاموي بنشاط فكري وبثورات عسكرية[١٢] استهدفت الاطاحة بالحكم الاموي وارجاع الامامة الى أصحابها الشرعيين من آل علي (ع) •

ان الاستعراض الذي اوردته أعلاه تناول الفرق الشيعية التي كان لها وجود تاريخي خلال العهد الاموي • اما جماعة عبدالله بن سبأ أو السبأية فأن وجودها التاريخي يكتنفه الغموض أو بالاحرى انها غير موجودة بالرغم من ان بعض المؤرخين المحدثين تصوروا وجودها[١٣] •

واميل الى ان عبدالله بن سبأ كانت شخصيته الى الخيال اقرب منها الى الحقيقة ، وان دوره بولغ فيه الى درجة كبيرة لاسباب دينية وسياسية ذات علاقة بنزاع الشيعة مع خصومهم • ومن الادلة على ضعف قصة ابن سبأ : أولا ـ لم ترد القصة المذكورة في المصادر المهمة التي روت حوادث خلافة عثمان وقضية مقتله امثال طبقات ابن سعد وانساب الاشراف للبلاذري • ثانيا ـ لو عرضنا القصة للنقد لوجدناها حافلة بالتناقض والمبالغة خاصة فيما يخص تاريخ الحوادث التي احتوتها تلك القصة ، وصعوبة امكان نسبة كثير من الآراء التي زعم ان ابن سبأ بشر بها ، اليه • ونفى وجود ابن سبأ عدد من الكتاب المحدثين كان من بينهم طه حسين[١٤] ومرتضى العسكري الذي الف كتابا في الموضوع أسماه « عبدالله بن

---

(١٢) ان أهم الثورات المذكورة حركة التوابين ، وحركة المختار ، وثورة زيد بن علي •

(١٣) الدوري ، عبدالعزيز ، العصر العباسي الاول (بغداد ، ١٩٤٥) ص ١٩ •

(١٤) الفتنة الكبرى ، ج ١ ، (القاهرة ، ١٩٤٧) •

سبأ »[١٥] . وعند الكلام عن ابن سبأ يقول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء : « اما عبدالله بن سبأ (الذي يلصقونه بالشيعة أو يلصقون الشيعة به ـ فهذه كتب الشيعة بأجمعها تعلن بلعنه والبراءة منه ... » ويتابع كاشف الغطاء قوله : « انه ليس من البعيد رأي القائل ـ ان عبدالله بن سبأ ومجنون بني عامر وابي هلال وامثال هؤلاء الرجال والابطال كلها أحاديث خرافة وضعها القصاصون وأرباب السمر والمجون ... »[١٦] .

---

(١٥) عبدالله بن سبأ (القاهرة ، ١٣٨١) .
(١٦) أصل الشيعة واصولها (بيروت ، لا.ت) ص ٨٤ .

الفصل السادس

المروانيون الاول

عبدالملك بن مروان :

تولى عبدالملك بن مروان الخلافة بعد وفاة ابيه الذي حكم لفترة قصيرة . وكان الاضطراب سائدا في مختلف الولايات الاسلامية عندما تولى عبدالملك الخلافة ، لذا امضى الشطر الاول من حكمه في تهدئة الاحوال ، فقضى على حركة الزبيريين ، واخمد عصيان عمرو بن سعيد بن العاص في دمشق(١) .

وهجم الروم على البلاد الاسلامية من الشمال مستغلين انشغال الخليفة في الحروب الداخلية ، فاضطر عبدالملك لمصالحتهم ، ودفع لهم مبالغ من المال . وبعد ان هدأت الاحوال في الشطر الثاني من خلافة عبدالملك ، استأنف الخليفة الحرب ضدهم ، وتمكن من هزيمة جوستنيان الثاني سنة ٧٢هـ (٦٩٢م) . ثم دأبت حكومة عبدالملك على توجيه حملات صغيرة أو كبيرة عاما بعد عام ضد الروم على غرار ما عمله معاوية الاول . ولئن لم تسفر تلك الحملات عن نتائج مهمة ، فقد كانت على الاقل بمثابة مدرسة نافعة لعرب الشام والجزيرة مكنتهم من المثابرة على تمرينهم العسكري .

بناء قبة الصخرة :

ذهب بعض المؤرخين الى ان عبدالملك استهدف من بناء قبة الصخرة صرف المسلمين عن الحج الى بيت الله الحرام وذلك لان مكة كانت تحت حكم عبدالله بن الزبير في بداية حكم عبدالملك . ويبدو ان الرأي المذكور

---

(١) اليعقوبي ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٥ .

مشكوك في صحته لانه من الصعب ان نقول بأن عبدالملك يجهل مكانة الكعبة الدينية بحكم كونها قبلة المسلمين وان صرفهم عنها لا يرضيهم • واعتقد ان اهتمام عبدالملك بقبة الصخرة يعود الى انها مكان مقدس عند المسلمين من جهة ، وان عبدالملك أراد تقليد اباطرة الرومان في اهتمامهم بالابنية الدينية ، التي تجسد اهتمام الحكام بالدين عن طريق العناية بأمكنته ، من جهة ثانية •

تعريب العملة :

لقد انتهج عبدالملك ، مدفوعا بشعور ديني ووطني ، سياسة تعريب مؤسسات الدولة ومن بينها العملة • روى اليعقوبي ان الدراهم والدنانير نقشت بالعربية في عهد عبدالملك بن مروان(٢) • ويقول البلاذري « ان عبدالملك أول من ضرب الذهب عام الجماعة سنة اربع وسبعين ••• [و] ضرب الحجاج الدراهم آخر سنة خمس وسبعين ثم امر بضربها في جميع النواحي سنة ست وسبعين »(٣) • ويبدو ان عبدالملك لم يغير وزن النقود السابقة من رومانية وفارسية ، وكل ما عمله هو كتابة نقوش عربية عليها ، كما يبدو ان عبارة « ضرب » المستعملة برواية البلاذري السابقة لم تستعمل بمعناها الاصطلاحي الصحيح ، وان عبارة « نقشت » الواردة برواية اليعقوبي السابقة أكثر تدقيقا ، وتؤيدها رواية ثانية بالبلاذري تقول ان وهب بن كيسان « قال رأيت الدنانير والدراهم قبل ان ينقشها عبدالملك ممسوحة وهي وزن الدنانير التي ضربها عبدالملك »(٤) •

ومن الجدير بالذكر ان جماعة من الخلفاء قبل عبدالملك ضربوا دراهم ودنانير ولكنهم ضربوها بالنقش الرومي والفارسي ، ومن الادلة على

---

(٢) اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ٢٦ •
(٣) فتوح البلدان ، ص ٤٥٣ •
(٤) أيضا ، ص ٤٥٣ •

ذلك ان دراهم فضية اسلامية ضربت على طراز الدراهم الساسانية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وكانت تحمل اسم يزدجرد الثالث • كما ضربت دراهم في عهد الخليفة عثمان ، وكانت تحمل اسم كسرى الثاني ، ومثل ذلك حصل في عهد الامام علي اذ انه ضرب دراهم في البصرة تحمل اسم كسرى الثاني •

ونستنتج من كل ما سبق ان عبدالملك لم يوجد نظام عملة جديد بل كل ما عمله هو اضافة نقوش عربية اسلامية للعملة القديمة •

تعريب الدواوين :

كانت الحسابات الرسمية تعمل باليونانية في الشام وبالفارسية في الكوفة وقد تم نقل الدواوين في عهد عبدالملك الى العربية ، وكانت غاية الخليفة من تلك العملية التحرر من الاثر الاجنبي وتعميم العربية في المؤسسات الادارية والمالية للدولة • ومن الجدير بالذكر ان دواوين الجند وضعت بالعربية في الاصل فلم تتناولها عملية النقل المذكورة •

ان ما تم في عهد عبدالملك من تعريب للمؤسسات المذكورة ومن تنظيم للادارة يعدّ من الاعمال المهمة في تاريخ التمدن الاسلامي • ويقول حسن ابراهيم حسن في هذا الصدد انه من الممكن ان نقول ان النظام الاداري والسياسي في عهد الدولة الاموية لم يكن من صنع معاوية بن ابي سفيان ، بل ان عبدالملك بن مروان يعتبر المؤسس الحقيقي لهذا النظام ؛ فقد صبغ الادارة والمالية بالصبغة العربية(٥) • ويقول فلهاوزن ، بعد ان يتكلم عن تعريب الدواوين ، « ويبدو للانسان ان عبدالملك قد اقام الدولة من وجوه أخرى على قواعد جديدة ، فأصبحت ادارتها فيما يظهر ذات طابع فني ومتدرج اكثر مما كانت عليه من قبل ، وان لم تبلغ في ذلك الاّ درجة

---

(٥) النظم الاسلامية (القاهرة ، ١٩٣٩) ص ٢٠٣ •

أقل بكثير مما بلغته ادارة الدولة العباسية »[٦] .

ولاة عبدالملك :

كان نصيب بني امية من السيادة في عهد عبدالملك ، اوفر مما كان في عهد اسلافه من الخلفاء الامويين . فاسند لهم في بداية حكمه خاصة ولايات مهمة ، فولاية الجزيرة وارمينية رغم خطورتها لوقعها على حدود الروم كانت تحت امرة محمد بن مروان . وكانت مصر وافريقية تحت حكم اخيه عبدالعزيز بن مروان . وبالرغم من ذلك فأنه استعان بولاة قديرين من غير بني اميـــة امثال الحجــاج بن يوسف وحسّان بن النعمان والي افريقيــة .

وكان عبدالملك يعامل عماله بما فيهم الحجاج ، معاملة شديدة تصل الى القسوة في بعض الاحيان .

الحجاج بن يوسف :

ولى عبدالملك الحجاج بلاد العراق ، ومنحه سلطات واسعة في ولايته . ذكر اليعقوبي ان عبدالملك كتب للحجاج كتابا بخطه « اما بعد يا حجاج فقد وليتك العراقين صدقة ، فأذا قدمت الكوفة فطأها وطأة يتضاءل منها أهل البصرة ... »[٧] .

واستعمل الحجاج الشدة في ولايته ، فطارد الخوارج مطاردة لا هوادة فيها وتمكن من هزيمة شبيب الشيباني ، احد مشاهير قوادهم ، سنة **٧٨**هـ بعد معارك عديدة .

واستمر الحجاج واليا على العراق لفترة طويلة في عهدي عبدالملك

---

(٦) الدولة العربية وسقوطها ، ص ٢١٣ .
(٧) التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٨ .

وابنه الوليد ، ويعدّ الحجاج من الحكام المشهورين في التاريخ ، واقترن اسمه بالقسوة •

وكانت مهمته في العراق شاقة للاسباب التالية :

أولا ـ كان العـراق من مراكز الخوارج المهمة ، وكان هؤلاء في حالة ثورة مستمرة ضد الامويين ، وبالرغم من الهزائم التي لحقت بهـم استمروا في مضايقة الامويين طيلة حكم الحجاج والفترة التي تلته •

ثانيا ـ كان العـراق مركز الشيعة وكان هؤلاء ناقمـين على الحكم الاموي لاسباب دينية وسياسية ، كما بينا سابقا ، وكانت معاملة الحجاج للشيعة قاسية مما زاد في تذمرهم وجعلهم يتحينون الفرص للثورة على الحكم الاموي •

ثالثا ـ كان العراق خلال ذلك العهد ميدانا للتاريخ الاسلامي ، وكان أهله يرون ان بلادهم احق بالخلافة من الشام لذا كانوا في اضطراب دائم كلف الامويين جهودا كبيرة •

رابعا ـ كان التحول الاجتماعي في العـراق اسرع منـه في سورية وافريقية ، اذ اخذت التنظيمات القبلية فيه تضعف ، والافكار الدينية والمدنية تنضج بسرعة أكثر مما هي الحال في الشام ، لذا كانت ادارته من الامور الشـاقة •

وقد عمد الحجاج لاشغال العراقيين بالفتوحات الخارجية حيث وصلت جيوش المسلمين في عهده الى قلب الهند وحدود الصين ، ولكن ذلك لم يلههم عن نقد سياسة الامويين والثورة على حكمهم تحت قيادة ابن الاشعث وغيره فيما بعد •

حركة عبدالرحمن بن الاشعث :

كان ابن الاشعث عامل سجستان ، وكان تحت امرته جيش قوامه

عشرة آلاف مقاتل ، وقد اختلف مع الحجاج حول أمور ذات علاقة بالشؤون الادارية والعسكرية لمنطقته • وتعقدت العلاقات بين الحجاج وابن الاشعث مما حدا بان الاشعث إن يعلن الثورة على الحكم الاموي •

ويعـد فلهاوزن ثورة ابن الاشعث بأنها تمثل ثورة العـراق على الامويين ، وان تلك الثورة هزت الحكم الاموي وهددت مركز الخليفة نفســـه •

ومما جعل للثورة أهمية كبرى ان عددا من الموالي كانوا قد انضموا اليها وايدوها ، كما ان عددا من الاتقياء امثال الحسن البصري ، والشعبي وسعيد بن جبير ، وابراهيم النخعي قد ايدوها وانضموا اليها •

وقد ازداد قلق عبدالملك نتيجة لانتصار الثوار ففاوض العراقيين على شروط منها ان جراياتهم (العطاء) تصبح معادلة لجرايات أهل الشام ، وان الحجاج يستدعى من بلادهم ، وان ابن الاشعث يقطع مدى الحيـاة القطر الذي يحبه •

ولما فشلت المفاوضات استمر القتال بين الثائرين وجيش الحكومة ، ولكن الثوار ما لبثوا ان تخاذلوا وتفرقوا عن قائدهم مما أدى الى فشله •

ويعلل فون كريمر انضمام الموالي الى الثـورة بأنه نتيجـة لمطالبتهم بحقوق سياسية مساوية لحقوق العرب ، وانهـم أرادوا ان يتحرروا من الجزية ، وان تدرج اسماؤهم في سجل العطاء الذي كان مقتصرا حتى دلك التاريخ على العرب •

وكان الحجاج قد فرض الجزية على الموالي رغم اعتناقهم للاسلام ، ويعدّ اجراؤه المذكور معاكسا للاجراء الذي اتخذه المختار الثقفي والذي يقضي برفع الجزية عمن اسلم من الموالي وبمساواتهم بالعطاء مع العرب • وقد فشلت تدابير المختار البناءة وحلت محلها آراء الحجاج غير العادلة والتي

كانت من العوامل التي جعلت الموالي يعملون مع غـيرهم لتحطيم الحكم الاموي فيما بعد •

اهتمام الحجاج بالري وشؤون الفلاحين :

لقد حصل هدوء نسبي في الولايات الشرقية والعراق بعد فشل ثورة ابن الاشعث • وانصرف الحجاج خلال تلك الفترة وخاصة بعد ان تولى الوليد الحكم بعد وفاة ابيه عبدالملك ، الى اعمار البلاد التي مزقتها الحروب واضعفت اقتصادياتها كثيرا • وعمل الحجـاج على تحسـين الري وجفف بعض المستنقعات ، ويقال انه منع الناس من ذبح البقر حتى تتوفر لاعمال الحـراثة •

الفتوحات الخارجية في عهد عبدالملك والوليد :

تولى عبدالملك الخلافة والبلاد في حالة اضطراب ، وبعد ان اخمد الثورات الداخلية وجه جيوشه نحو الفتح الخارجي • فنشطت حركات الفتوحات على الجبهة الغربية تحت اشراف عبدالعزيز بن مروان • وقد وجد العرب صعوبات جمة في اعادة فتح افريقية وتثبيت الادارة في ربوعها • ومن القواد الذين اسهموا في اعادة فتح افريقية حسان بن النعمان الذي قضى على مقاومة الكاهنة ، وموسى بن نصير وغيرهما •

وكان من بين الاسـباب التي خلقت الصعوبات في وجـه الجيوش الاسـلامية التي ارسلت لفتح شمالي افريقيـة : أولا ـ استمر الرومان يساعدون السكان المحليين ويمدونهم من البحر خاصة بمدد ومؤن •

ثانيا ـ كان سـكان شـمالي افريقية من البربر الذين لا يرتبطـون بالعـرب بروابط عنصرية ولا لغوية لذلك لم يخضعوا بسهولة للجيوش الفاتحـة •

ثالثا ـ فشت دعوة الخوارج في شمالي افريقية بصورة مبكرة ، ثم

تلتها الدعوة العلوية لذا كانت المعارضة التي تقوم على أساس ديني قوية في كثير من أدوار حكم بني امية ثم حكم العباسيين فيما بعد .

اما الجبهة الشرقية فقد بدأت الفتوحات فيها في أواخر عهد عبدالملك ، ثم تقدمت كثيرا في عهد الوليد . وكان الحجاج المنظم الاداري والسياسي الاول للفتوحات المذكورة ، كما ان العراق كان المركز الرئيس لتجهيز الجيوش . ومن القادة الذين عملوا في هذه الجبهة قتيبة بن مسلم الباهلي ، ومحمد بن القاسم الثقفي .

ويستطيع القارىء ان يجد تفصيلات كثيرة عن حروب عبدالملك والوليد في مظانها القديمة(٨) والحديثة(٩) .

فتح الاندلس :

أرسل موسى بن نصير والي افريقية طارق بن زياد احد قواده للقيام بالمهمة المذكورة . وبعد ان عبرت الجيوش الاسلامية مضيق جبل طارق بنجاح وشرعت باتمام فتح البلاد ، التحق بها موسى نفسه للاشراف على الفتح . وساعدت المسلمين على فتح الاندلس عوامل داخلية وخارجية منها : أولا ـ خلافات العوائل المالكة في الاندلس . ثانيا ـ الخلافات الدينية بين المسيحيين واليهود من جهة ، وبين الطوائف المسيحية المختلفة من جهة اخرى . ثالثا ـ جدارة قيادة الجيوش الاسلامية وحسن تنظيمها .

خلافة سليمان بن عبدالملك :

تولى سليمان الخلافة بعد أخيه الوليد ، واستمر على سياسة اسلافه

---

(٨) أنظر في هذا الصدد تواريخ الطبري ، والمسعودي ، وابن الاثير ، وابن كثير وغيرهم .

(٩) أنظر في هذا الصدد تاريخ العرب المطول لفليب حتي وصحبه ، وتاريخ الاسلام السياسي لحسن ابراهيم حسن ، ومختصر تاريخ العرب لامير علي وغيرهم .

في حرب الروم، وقد ارسل حملة جبارة لفتح القسطنطينية ولكنها لم تستطع فتحها رغم الجهود الكبيرة التي بذلت في اعدادها ، ورغم النجاح الذي احرزته في أول الامر .

سياسته تجاه قواد الوليد :

لقد اساء سليمان معاملة القواد والولاة الذين خدموا الدولة في عهد أخيه الوليد ، ويعود السبب في ذلك ، كما يظهر من بعض الروايات ، الى تأييدهم لسياسة الوليد الرامية لخلع سليمان من ولاية العهد . وكان الحجاج أكبر المؤيدين للسياسة المذكورة ولكن وفاته في اخريات عهد الوليد انقذته من العقاب الذي تعرض له غيره من مؤيدي تلك السياسة .

وكان موسى بن نصير من بين القواد والولاة الذين تعرضوا لعقاب سليمان ، ويرى اليعقوبي ان وشاية طارق بن زياد لدى الخليفة كانت من بين الاسباب التي حملت الخليفة على عقاب موسى[١٠] .

اما قتيبة بن مسلم الباهلي فكان عند تولي سليمان الخلافة يحارب على حدود الصين ، وكان يتصور ان انتصاراته الباهرة كفيلة بأن تشفع له عند الخليفة الجديد ولكن سليمان عزل قتيبة وعاقبه . وحاول قتيبة ان يعلن العصيان ولكنه فشل . ولعل تغير السياسة في دمشق تبين لنا أسباب توقف الفتوحات على حدود الصين ، اما قصة يمين قتيبة وهدايا ملوك الصين الرمزية فيظهر انها موضوعة ولا تصمد للنقد التاريخي .

ومال سليمان الى اليمانيين شأنه في ذلك شأن كثير من خلفاء بني امية الذي كان بعضهم يتبنى سياسة يمانية بينما يتخذ الآخر سياسة قيسية . وكانت تلك السياسة من افضع الاغلاط التي ارتكبها الخلفاء والتي اضرت البلاد الاسلامية اضراراً كبيرة .

---

(١٠) التاريخ ، ج ٣ ، ص ٣٨ .

الفصل السابع

عمر بن عبدالعزيز

ولي عمر الخلافة بعد سليمان وبعهد منه . وكان قبل توليه الخلافة قد قضى شطرا من حياته في مدينة الرسول (ص) حيث اتصل بالعلماء الذين أخذوا حينذاك يشتغلون بعلوم القرآن وتدوين الحديث . وكان للاتصال المذكور أثر في الاتجاه الديني الذي اتخذه عمر عند توليه الخلافة . وكان عمر يستشير علماء الدين في أمور الحكم ، أمثال رجاء بن حيوة الذي كان مقدما عنده[1] .

وعندما يقارن فلهاوزن بين سليمان بن عبدالملك وعمر بن عبدالعزيز يقول : « ولقد كان سليمان بن عبدالملك رجلا متبديا صاحب متاع . أما عمر فيكاد يكون زاهدا . وقد أتاحت السيادة لسليمان وسائل للمتاع لا حدود لها . أما عمر فقد ألقت السيادة على كاهله مسؤولية ثقيلة ، وكان في كل شيء يفعله يتمثل الحساب أمام عينيه ، وكان يخشى دائما أن يقصر في حدود الله »[2] .

وأنكر عمر أعمال أهل بيته وسماها مظالم وكتب الى عماله جميعا « أما بعد فان الناس قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله ، وسنن سيئة سنها عليهم عمال السوء ، قلما قصدوا قصد الحق والرفق والاحسان ومن أراد الحج فعجلوا عليه عطاءه حتى يتجهز منه ، ولا تحدثوا حدثا في قطع وصلب حتى تؤامروني ، وترك لعن علي بن أبي طالب (ع) على

(١) اليعقوبي ، التاريخ ، ج٣ ، ص٥٠ .
(٢) الدولة العربية وسقوطها ، ص٢٦٠ .

المنبر ... »[٣] .

ان الصورة المثالية التي أظهرتها الروايات السابقة يمكن أن يطرأ عليها بعض التحوير اذا أخذنا الروايات التالية بنظر الاعتبار . فاليعقوبي بعد ان يقول أن عمر رد هدايا النوروز والمهرجان ورد السخر ، يضيف قوله « غير أنه أقر القطايع التي أقطعها أهل بيته . والعطاء في الشرف لم ينقصه ولم يزد فيه . وزاد أهل الشام في اعطياتهم عشرة دنانير ، ولم يفعل ذلك في أهل العراق »[٤] . ويقول كولدزيهر « وفي ابان حكم هذا البيت [آل أمية] كان عمر الثاني وحده وهو أحد الامراء الذين تربوا في بيئة صالحة، والذي ساعد جهله بالامور السياسية على سقوط بيته، هو الذي يمكن أن نسمع عنه انه رفض اتمام التأسيسات الحكومية اللازمة للدولة ؛ وهو وحده الذي يمكن أن تصدر عنه هذه الكلمة التي قالها لبعض عماله ، عندما أخبره بحالة بلده السيئة واحتياجها الى نفقة خاصة لعمارتها ، فرد عليه بقوله (حصنها بالعدل ، ونق طرقها من الظلم) ، وهي كلمة لا يمكن أن تصدر عن الامويين »[٥] .

رأي عمر في الحرب الخارجية :

يبدو أن عمر لم يكن ميالا للتوسع الخارجي ، وربما أدرك أن سعة الدولة الاسلامية في عهده بلغت درجة يحسن معها التفكير والعمل على الاحتفاظ بتلك الممتلكات الشاسعة دون اضافة بلاد جديدة عن طريق الفتح اليها . ومن المحتمل أن عمر فضل الاهتمام بالمشكلات الداخلية الملحة على الاهتمام بالتوسع الخارجي .

أما فلهاوزن فيقول أن عمر لم يكن « ميالا الى حروب الفتح ، وكان

---

(٣) اليعقوبي ، ج٣ ، ص٤٨ .
(٤) أيضا ، ص٤٨ .
(٥) كولدزيهر ، أجناس ، العقيدة والشريعة (القاهرة ١٩٤٦) ص ٤٩ .

يعلم حق العلم أنها لم تكن حروبا في سبيل الله ، بل من أجل الغنائم »[٦]

أما سياسة عمر نحو عمال الولايات ، فتتلخص في أنه أوكل المناصب الكبرى الى عمال جدد • فعزل يزيد بن المهلب عن خراسان وحبسه بتهمة احتجان أموال الغنيمة ، وولى مكانه الجراح بن عبدالله الحكمي • وبعد فترة بلغ « عمر عن الجراح أمور يكرهها من أنه يأخذ الجزية من قوم قد أسلموا ، وانه يغزي موالي بلا عطاء ، وانه يظهر العصبية••• »[٧] فعزله عمر عن خراسان • ووجه عمر الى البصرة عدي بن أرطاة الفزاري والى الكوفة عبدالحميد بن عبدالرحمن القرشي ، والى العراق عمر بن هبيرة الفزاري • وكان عمر يهتم بالكفاءة والامانة عند توليته للولاة •

سياسته المالية :

كانت القضايا المالية والضرائب ، خاصة في الامصار ، من أهم الامور التي حظيت بعناية فائقة من رجال الحكم في الدولة الاموية • وكان اصلاح هذه الناحية أول ما اتجهت اليه همة عمر بن عبدالعزيز •

كان النظام المالي في الدولة الاسلامية قبل خلافة عمر بن عبدالعزيز يعتمد ، من الناحية النظرية على الاقل ، على القواعد التي وضعها عمر بن الخطاب في هذا الخصوص • فعمر جعل الخراج على الارض والجزية على الرؤوس ، وأمر أن تكون حصيلة الضريبتين الى بيت مال المسلمين • يقول أبو يوسف أن عمر قال « رأيت أن أحبس الارضين بعلوجها وأضع عليهم فيها الخراج ، وفي رقابهم الجزية ، يؤدونها فتكون فيئا للمسلمين : المقاتلة والذرية ولمن يأتي بعدهم »[٨] •

وابتعدت حكومة الامويين قبل خلافة عمر بن عبدالعزيز عن قواعد

---

(٦) الدولة الاموية وسقوطها ، ص٢٦٠ـ١ •
(٧) اليعقوبي ، ج٣ ، ص٤٥ •
(٨) الخراج (القاهرة ، ١٣٥٢هـ) ص٢٥ •

ابن الخطاب فيما يتعلق بتوزيع الفيء على المسلمين • اذ كانت الحكومة فيما يتعلق بأعطيات المقاتلة من المسلمين « تسير في أول الامر على مشيئتها الخاصة ، فكانت تسقط من ديوان المقاتلة من تشأ وتفرض فيه لمن تشأ ، وكانت تزيد في الاعطيات أو تنقصها كما تشاء ، وكان هذا دائما سببا للشكوى »[٩] •

وبعد أن ولي عمر الخلافة حاول أن يزيل بعض أسباب التذمر ، فذهب في ارضاء المطالب التي توجه الى بيت المال الى حد بعيد ، « فوسع دائرة الاعطيات ، حتى صارت أكثر شمولا لغير العرب مما كانت عليه من قبل ، وهو لم يقتصر على اعفاء الموالي الذين كانوا يحاربون مع العرب في خراسان من الخراج ، بل جعل لهم أرزاقا واعطيات »[١٠] •

وعمد عمر الى الغاء الضرائب غير الشرعية ما وسعه ذلك • وكان من بين الضرائب المذكورة هدايا النوروز والمهرجان ، ودراهم النكاح ، وثمن الصحف ، واجور الضرابين وغير ذلك •

وتعد اجراءات عمر بخصوص ضريبتي الجزية والخراج أهم ما قام به من اصلاحات مالية كان كل من الخراج والجزية متداخلين من حيث المعنى ، ويعنيان ضريبة يدفعها المغلوبون من غير المسلمين الى بيت مال المسلمين • وقد عمل عمر بن عبدالعزيز على تثبيت أمر الجزية والخراج على النحو التالي : قال أن الجزية تتبع الطبقة الاجتماعية ، وانها تؤخذ على الاشخاص من غير المسلمين ، وان من يدخل الاسلام تسقط عنه الجزية التي هي علامة الخضوع • وقال ان الخراج يدفع عن الارض الخراجية التي بحوزة الاشخاص من مسلمين وغير مسلمين وعلى هذا فان دفعها من قبل المسلم لا يشينه لانها تتعلق بأرضه لا بشخصه •

---

(٩) فلهاوزن ، الدولة العربية وسقوطها ، ص٢٨٨ •
(١٠) ايضا ، ص٢٨٨ •

ولكي يتفادى عمر النقص الذي قد يتعرض له مورد بيت المـــال طبق القاعدة القائلة بأن أرض الخراج هي ملك الامــة الاسلامية ، وان المسلمين تركوها لاهل القرى مقابل دفعهم الخراج لبيت المـال ، لــــذا لا يجوز اقتطاع أجزاء منها بتحويلها ملكا خاصا للمسلمين معفى مـــن الخراج • وتبعا لذلك منع عمر بيع أرض الخراج للعـرب وللمسلمين ، اعتبارا من سنة مائة للهجرة ، ولكنه لم يجعل للمنع المذكور أثرا رجعيا •

ويعد تحريم انتقال ملكية أرض الخراج اجراء تشريعيا جديدا لـه أعمق الاثر بالرغم من انه يستند الى الفكرة التي عمل بها أيام الفتح وهي أن الارض بالاصل لا تعد غنيمة ، بل هي فيء يعود للامة الاسلامية •

ويقول فلهاوزن في صدد تقديـــره لتدابير عمر بشـــأن الجزيـــة والخراج : « ولما كانت الارض المنزرعة هي أهم ما يدفع عنـه الخراج ، فان أسقاط الجزية عن الداخلين في الاسلام لم يكن في الحقيقة من جانب بيت المال تضحية كبيرة • وهكذا أمكن أن يفي بيت المال بحاجة الدولـــة الاسلامية من غير مشقة ، وكان الامر تدقيق فقهي ،أمر تخريج هـــدت اليه الضرورة القاهرة ، لاننا لو نظرنا بمنظار العقل الســـليم لوجدنا أن الذي يؤدي الخراج في الحقيقة ليس هو الارض ، بل مالك الارض »(١١)

ويبدو من كل ما سبق أن عمر عمل جاهدا لاصلاح النظـام المالي للدولة الاموية ولكن آثار تدابيره كانت مؤقتة ، لان خلفاءه ، كما يبدو ، لم يسيروا على خطته الاصلاحية(١٢) •

الخلاصـــة :

كان عمر بن عبدالعزيز من الخلفاء الصالحين • وقد عمل عـــلى تطبيق العدالة الاسلامية كما يفهمها ، فألغى استرقاق أولاد البربر بـــدلا

---

(١١) الدولة العربية وسقوطها ، ص٢٧٢ •

(١٢) اليعقوبي ، التاريخ ، ج٣ ، ص٥٥ •

من الجزية ، وخفف الضرائب عن أهل نجران ، وحاول حماية الرعية من العمال ، واعتبر ادارة الامصار تعميرها لا استثمارها • وقد تصدى كثير من المستشرقين مثل فون كريمر وموللر ، لانتقاد عمر ، ورأوا أن اجراءاته المالية أضرت بيت المال ، وانه رجل خيالي بعيد عن فهم متطلبات السياسة • والواقع أن عمر لم يكن كما وصفه نقاده ، فالرجل لم يفرط في أموال الدولة ، كما ظهر لنا أثناء البحث ، كما انه حاول تطبيق ما يمكن تطبيقه من مبادىء الاسلام • وكانت المشكلة التي نالت اهتمام عمر شاقة وتتطلب حلا سريعا ، وهي بطبيعتها لا تختلف عما جابهه الحجاج • وتتلخص المشكلة المذكورة في أن أرض الخراج كانت تتحول بسرعة الى أملاك خاصة معفوة من الضرائب • وحاول كل من الحجاج وعمر ، معالجة تلك المشكلة ، ولكن عمر حاول أن يستمد حلوله من مبادىء الاسلام ، بينما الحجاج لم يعر تلك المبادىء كبير اهتمام •

وقد حاول عمر أن يعيد للحكم صفته الاسلامية ، كما حددها المتدينون وهو من بينهم ، بعد أن أهمل حكام بني أمية كثيرا من متطلبات الحكم القائم على أسس اسلامية • وتعرض الحكام الامويون من جراء ذلك الى خطر شديد ، وقاومهم خصومهم باسم الله والدين تارة ، وكانت المقاومة تتخذ تارة أخرى شكلا اجتماعيا وجه فيه المقاومون هجماتهم لا للامويين حسب ، بل للحكم العربي بصورة عامة • وكان جل هؤلاء من الموالي الذين كانوا ينشدون المساواة ، ويعملون على احياء تراثهم الثقافي وتقاليدهم • وعمل عمر بن عبدالعزيز على حل مشكلات الموالي ولكن نجاحه كان محدودا للاسباب التي أشرنا اليها أثناء البحث • كما أنه حاول استرضاء العلويين فمنع شتم علي (ع) من على المنابر ، وأرجع اليهم مقاطعة فدك التي أخذت منهم بحكم من أبي بكر وعمر (ر) •

وأحسن عمر معاملة أهل الذمة من اليهود والمسيحيين فأعاد اليهم كنائسهم وكنسهم التي اغتصبت منهم •

الفصل الثامن

المروانيون المتأخرون

تعاقب على الحكم بعد عمر بن عبدالعزيز ، جماعة من الخلفاء الامويين امثال يزيد الثاني ، وهشام بن عبدالملك ، والوليد بن يزيد ، وابراهم بن الوليد ، ومروان بن محمد •

وعندما تولى يزيد الثاني الحكم ، عزل ولاة عمر بن عبدالعزيز ، ثم نقض سياسته الرامية لالغاء الضرائب غير الشرعية ، فاعاد هدايا النوروز والمهرجان والسخر • ويقول ابن الاثير في هذا الصدد ان يزيد الثاني ابطل كل تدبير في الدولة لعمر بن عبدالعزيز لم يرق له •

وحصلت في عهد يزيد الثاني ثورة مهمة قادها يزيد بن المهلب • وكان لتلك الثورة ، رغم اخفاقها ، أهمية كبرى • ويقول أمير علي « ومع أن ثورة يزيد بن المهلب ، التي كادت أن تقوض دعائم الخلافة الاموية ، قد سحقت • فقد كانت لها نتائج بعيدة الاثر ، كما أن القضاء على « أزد » اليمانية التي ينسب اليها يزيد بن المهلب في كرمان والعراق قد هز العالم العربي بأسره وأشعل نار العداوة والبغضاء بين اليمانيين والحميريين[١] في اسبانية وأفريقية والمشرق ••• »[٢] • ويقول فلهاوزن بصدد النزاع بين يزيد بن عبدالملك وآل المهلب « وتأثر يزيد بن عبدالملك بالحجاج ، فارتاب بالمهالبة ••• وكان تخوفه وارتيابه من مطامحهم في المشرق لهما ما يبررهما ، وكانت ثورتهم سببا في انفجار هذا البغض •

---

(١) لعله يقصد القيسين •
(٢) مختصر تاريخ العرب ، ص١٣٣ •

ولكن افناء جميع أفراد ذلك البيت القوي النابه ، وهو فعلة لم يسمع بمثلها في طول تاريخ الدولة الاموية ، كان بمثابة اعلان حرب على قبائل اليمن ، وكانت نتيجة ذلك أن حكومة بني أمية انقلبت حزبا يحكم باسم قيس »[٣] •

ومن الجدير بالذكر أن النزاع بين القيسيين واليمانيين ، وتحزب الخلفاء الامويين تارة للقيسيين وأخرى لليمانيين ، كان من المظاهر التي ظهرت في كثير من أدوار التاريخ الاموي • وكان النزاع المذكور دليلا على فشل الامويين في القضاء على الروح القبلية بين العرب ، كما أنه كان من العوامل التي أضعفت الامويين ثم آلت الى سقوطهم •

عهد هشام بن عبدالملك :

ولي هشام الخلافة سنة **١٠٥هـ** • وكان هشام من أشهر خلفاء بني أمية • ويصفه اليعقوبي بأنه « من أحزم بني أمية وأرجلهم » • ويقول أيضا أن هشام كان « بخيلا حسودا فظا غليظا ظلوما شديد القسوة »[٤] • وبعد أن يذكر أمير علي سوء تصرفات يزيد الثاني ، سلف هشام ، والاضرار التي لحقت بالدولة نتيجة لها ، يقول : كان هشام « دون ريب أفضل من سلفه ، وأصبح جو البلاط في عهده أنقى ، فحل الوقار محل المجون ، وطهرت المدينة من الطفيليين الذين كانوا يعيشون عالة على المجتمع ، وأولي المزيد من الاحترام لتقاليد البلاد وقواعد الحياة • ولكن صرامته اتخذت مظهر الكآبة ، وبلغ تقتيره مبلغ البخل ••• [و] كان متعصبا في آرائه ••• وكان سريع التأثر بالوشايات • فقد كان يضحي بأقدر رجال الدولة لمجرد الشك فيهم ، وأدت كثرة تبديل الحكام الى

---

(٣) أيضا ، ص٣١٢ •

(٤) التاريخ ، ج٣ ، ص٦٨ •

نتائج سيئة الى أبعد الحدود »[٥] .

واستعان هشام بعدد من الولاة المشهورين أمثال مسلمة بن عبدالملك والي أرمينية وأذربيجان ، وبشر بن صفوان الكلبي عامل المغرب ، وخالد بن عبدالله القسري عامل العراق . وكان خالد أشهر ولاة هشام ، لذا عهد له بأهم منصب في الدولة . ويرى فلهاوزن أن خالدا هذا يمكن أن يعد الى حد ما في عداد زياد والحجاج . وقد جعل خالد مقر ولايته واسط ، كما فعل الحجاج من قبل ، وتفرغ للاعمال السلمية . واستمر خالد واليا على العراق مدة خمسة عشر عاما تمكن خلالها أن يقوم بأعمال ادارية وعمرانية مهمة . وعمل خالد على حفظ التوازن بين القيسيين واليمانيين ،لذا لم تحدث بين الفريقين نزاعات مهمة في عهده .

ونعم العراق في عهد خالد بهدوء غير مألوف ، وازدهرت الحياة الاقتصادية في البلاد . وكان ذلك نتيجة لاهتمام خالد بشؤون الري والزراعة . وعمل خالد على تجفيف المستنقعات في حوض دجلة الادنى ، واستعان في ذلك بأحد الاختصاصيين وهو حسان النبطي الذي خدم الحجاج من قبل . وتمكن خالد نتيجة لذلك من اقتناء عدد كبير من المقاطعات الخصبة التي كانت تدر عليه غلات كبيرة . وذكر الطبري أن هشام بن عبدالملك سأل حسان النبطي عن غلة خالد فقال حسان ثلاثة عشر ألف ألف[٦] . ويذكر الطبري أيضا أسماء ضياع خالد ، ويبين أن هشاما عزله لانه « اعتقد بالعراق أموالا وحفر أنهارا حتى بلغت غلته عشرين ألف ألف ، منها نهر خالد وكان يغل خمسة آلاف ألف .. »[٧] وكان خالد يؤخر بيع غلته فيرتفع سعر القمح . وقد عمل أعداء خالد على

---

(٥) أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص١٣٩ .
(٦) تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٤٦٨ .
(٧) أيضا ، ج٥ ، ص٤٧٥ .

ايغار صدر الخليفة على عامله فعزله • ويعزو فلهاوزن أسباب عزل خالد الى أن هشام رغم عدم ارتيابه بخالد من الناحية السياسية ، فانه « أحس بشيء من الغيرة منه ، وكان يستطيع في الواقع أن يعتبره منافسا من الناحية الاقتصادية ، وقد ارتاب في أمره أيضا بسبب ظهوره بمظهر الرياسة والكرم ، وبسبب كلمات له كان يقولها استخفافا بهشام ، وبلغت هشاما فتغير له وعزم على أن يعزله وأن يعين مكانه يوسف بن عمر الثقفي ••• »[٨] • وعزل خالد ثم سجن وطولب بالاموال التي أتهم في الاستيلاء عليها •

ثورة زيد بن علي :

توجه زيد الى الكوفة بعد مشادة كلامية جرت بينه وبين هشام في مجلس الاخير[٩] • ويمكن أن تكون المشادة الكلامية المذكورة ، من الاسباب المباشرة لاغضاب زيد ، وحثه على الاسراع بالثورة التي نمت واختمرت أسبابها في نفسه • ويمكن أن نجمل الاسباب المذكورة بما يأتي :

أولا ــ كان زيد يشعر أنه أهل للمطالبة بحق العلويين في امامة المسلمين التي اغتصبها بنو أمية منهم دون حق ، كما يعتقد العلويون وشيعتهم •

ثانيا ــ محاولة هشام اتخاذ النزاع القائم بين العلويين حول صدقات الرسول (ص) وسيلة للنيل من زيد لانه كان ناقما على سياسة الامويين بصورة عامة ، وسياستهم تجاه آل البيت بصورة خاصة •

ثالثا ــ غضب زيد من هشام نتيجة لتدبير الاخير تهمة المواطأة بين

---

(٨) فلهاوزن ، الدولة العربية ، ص٣٢١ـ٢ •
(٩) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ، ص١٤٠ •

زيد وبين خالد القسري ، والي الخليفة هشام على العراق ، حول ما زعمه هشام من اخفاء شطر من أموال القسري عند زيد[10] •

رابعا ـ دعوة الشيعة لزيد وتحريضهم اياه على الثورة على حكم الامويين الذين غصبوا الحكم ، كما يعتقد الشيعة وآل علي •

وعندما خرج زيد في الكوفة كثر أتباعه حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل • وكانت بيعته التي يبايع عليها الناس : « انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة رسوله (ص) ، وجهاد الظالمين ، والدفع عن المستضعفين ، واعطاء المحرومين ، وقسم هذا الفيء بين أهل السواد ، ورد المظالم ، واقفال المتجمر ، ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقنا » •

وبعد فترة أمضاها زيد في الاستعداد للثورة ، قابل جيش الحكومة فكانت نتيجته القتل •

وكان لمقتل زيد أثر مهم في تكتل الشيعة وازدياد غضبهم على حكم الامويين • قال اليعقوبي « ولما قتل زيد وكان من أمره ما كان ، تحركت الشيعة بخراسان ، وظهر أمرهم وكثر من يأتيهم ويميل معهم ، وجعلوا يذكرون للناس فعل بني أمية وما نالوا من آل رسول الله (ص) حتى لم يبق بلد الا فشا فيه هذا الخبر وظهرت الدعاة ••• »[11] •

يضاف الى ما سبق أن يحيى بن زيد هرب الى خراسان وأخذ يعمل على تحريض أهلها على بني أمية • وكان عمله هذا ممهدا لنجاح دعوة بني هاشم التي قادها بنو العباس ووجهوها لمصلحتهم •

وكان لموت زيد نتيجة أخرى ، وهي أن موته أزال من طريق

---

(١٠) اليعقوبي ، ج٣ ، ص٦٥ •

(١١) التاريخ ، ج٣ ، ص٦٦ •

الدعوة العباسية منافسا قويا[١٢] .

أفريقية والاندلس :

سارت الامور في أفريقية والاندلس على ما يرام نسبيا خلال فترة طويلة من عهد هشام . وقد ألحقت بعض الولايات بالامبراطورية بعد فتحها أمثال سردينيا وصقلية ، وسراكوسا وبعض أجزاء من فرنسا .

وبالرغم من ذلك فقد قام البربر والخوارج بثورة عنيفة في أفريقية ضد حكم بني أمية ، وكان من بين هؤلاء جماعة من سكان موريتانية عرفوا بالصفرية . وكان هؤلاء شبيهين بالازارقة في المشرق . ونقم هؤلاء على ابن حاكمهم الذي ناب مناب ابيه في طنجة ، لانه حاول فرض ضريبة الجزية على المسلمين . واتفق الصفرية مع البربر وقتلوا الحاكم نفسه واستولوا على طنجة .

وقد عهد هشام بعد الثورة بولاية أفريقية الى حنظلة بن صفوان الذي تمكن من اخماد ثورة البربر ، وأعاد الامن والنصاب الى تلك الربوع ، وخلت البلاد من الفتن والاضطرابات طيلة أيام حكمه فاستعادت أفريقية في عهده شيئا من الازدهار .

أما الاندلس فكانت في عهد هشام ولاية خاضعة للدولة الاموية . وقد انتشر الاسلام بين كثير من سكانها ، كما ان مزايا النظام الاسلامي وتقاليد المسلمين وجدت طريقها الى نفوس الكثيرين منهم . وكانت تلك الولاية تشكو من عوامل ضعف مهمة منها بعدها عن السلطة المركزية في الشام ، واعتبار الامويين لها ولاية ثانوية تابعة لافريقية ، واستمرار النزاع بين القيسيين واليمانيين فيها .

وتولى الاندلس عدد كبير من الولاة من اشهرهم عبدالرحمن الغافقي .

---

(١٢) أمير علي ، المصدر السابق ، ص١٥٥ .

وكان عبدالرحمن ، فضلا عن نبوغه العسكري ، من الحكام القديرين •
وعامل عبدالرحمن جميع الطبقات على قدم المساواة ، دون تمييز بين العنصر والمذهب ، وأعاد الكنائس الى أصحابها الشرعيين بعد أن كانت قد اغتصبت منهم • وأعاد النظر في الادارة المالية • وعمل عبدالرحمن على تكوين جيش قوي جدا لمحو آثار الهزيمة التي مني فيها العرب قبل عهده في تولوز •

وسار عبدالرحمن لغزو شمال فرنسا سنة **٧٣٢**م فاستولى على مدينة « ارنس » بعد معركة دامية ، كما استولى على « بوردو » وأنزل بأمير أكواتين ، الذي حاول عرقلة زحفه على « دوردون » هزيمة منكرة •

وقد هاج تقدم الغافقي ذعر الامراء المحليين فاستنجدوا بشارل مارتل زعيم الافرنج • فلبى طلبهم وزحف بجيشه لملاقاة عبدالرحمن فدارت معركة رهيبة على مقربة من نهر اللوار بين الفريقين كانت تعرف بالتاريخ العربي ببلاط الشهداء ، انتصر فيها الفرنج • وقد بالغ المؤرخون الفرنج بأهمية تلك المعركة وعدوها من المعارك الفاصلة ، والواقع انها لم تكن كذلك ، وان العرب أعادوا تنظيم قوتهم بعد قليل وهجموا على بلاد الفرنج • ويقول أمير علي بصدد المعركة المذكورة : « ويصور المؤرخون الرهبان خسارة العرب بأنها بلغت **٣٦٠** ألف رجل ، أي ما يزيد على أربعة أضعاف العدد الذي دخل به عبدالرحمن فرنسا فعلا ! وهذه المبالغة انما تنضح ، اذا علمنا أنه لم تمض بضعة أشهر حتى أعاد المسلمون هجومهم ، بالرغم من الفتن والاضطرابات الداخلية ، بجيش لجب ، ولو أنه لم يكن مزودا بالعدة والنظام اللذين كان جيش عبدالرحمن مزودا بهما من قبل »[١٣] •

ونختم الحديث عن عهد هشام بن عبدالملك بكلمة عن أهمية ذلك

---

(١٣) أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص١٥١ •

العهد • يعد عصر هشام من أهم عصور الدولة الاموية في المشرق • وكان هشام أكثر خلفاء بني أمية اهتماما بالزراعة واعمار الارض • يقول المسعودي كان هشام « يجمع الاموال ، ويعمر الارض »(١٤) • واهتم هشام باعمار أرض العراق خاصة ، فجفف كثيرا من المستنقعات وحولها الى مقاطعات غنية •

وللاستاذ (گب) رأي في عصر هشام يقول فيه : أيس الامويون ، بعد فشل حملة **٧١٨**م ، من احتلال القسطنطينية ، وقل اهتمامهم في اقتباس التقاليد الرومانية ، واتجهوا نحو الشرق • وظهر التغيير المذكور منذ أن تبنى عمر الثاني سياسته الاسلامية ، ثم اتسع الاتجاه نفسه في عهد هشام • ومما ساعد على ظهور ذلك الاتجاه هو ان العراق أخذ يحتل مركزا ممتازا في عالم الثقافة الاسلامية ، وفي الامبراطورية أيضا ، وكان الاتجاه فيه فارسيا وليس بيزنطيا • وشعر هشام بالمركز الذي أخذ يحتله العراق والشرق عامة في امبراطوريته ، لذا تخلى عن سياسة أسلافه الرامية الى تأسيس امبراطورية عربية تكون بمثابة وريثة للامبراطورية الرومانية • ويمكننا أن نستنتج أن هشاما عمل على تأسيس امبراطورية عربية تستند الى التقاليد الساسانية • وسار مروان الثاني على سياسته ، وتم ذلك عندما أسس العباسيون بغداد •

تولى الخلافة بعد هشام الوليد بن يزيد ودام حكمه سنة واحدة وثلاثة أشهر • وكان الوليد ، كما يقول المسعودي « صاحب شراب ولهو وطرب وسماع للغناء ، وهو أول من حمل المغنين من البلدان اليه ، وجالس الملهين ••• وفي أيامه كان ابن سريج المغني ، ومعبد ، والغريض وابن عائشة ، وابن محرز ، وطويس ، ودحمان ••• »(١٥) •

---

(١٤) مروج الذهب ، ج٣ ، ص١٣٩ •
(١٥) مروج الذهب ، ج٣ ، ص١٤٦ •

وثار في أيام الوليد يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بالجوزجان من بلاد خراسان « منكرا للظلم وما عم الناس من الجور » . وتمكنت حكومة الوليد من التغلب على ثورة يحيى ، ولكنها خسرت كثيرا لان الناس ، وخاصة في خراسان ، استنكروا عملها استنكارا كبيرا اذ « أظهر أهل خراسان النياحة على يحيى بن زيد ... ولم يولد في تلك السنة بخراسان مولود الا وسمي بيحيى أو بزيد لما داخل أهل خراسان من الجزع والحزن عليه »(١٦) . وكان خروج يحيى في آخر سنة ١٢٥هـ وأوائل سنة ١٢٦هـ ، أي قبيل قيام ممثلي الدعوة الهاشمية(١٧) التي أطلق عليها الدعوة العباسية بالثورة على بني أمية بقيادة أبي مسلم الخراساني .

وبعد وفاة الوليد بن يزيد ، قام بأمر بني أمية يزيد وابراهيم ابنا الوليد بالتعاقب ولم يدم حكمها طويلا ، فآلت الخلافة الى مروان الثاني المعروف بالجعدي وهو آخر خلفاء بني أمية .

مروان الثاني :

بويع مروان بدمشق سنة سبع وعشرين ومائة ، وبقي في الحكم حتى سقوط الدولة الاموية سنة ١٣٢هـ .

لقد جرب مروان الادارة والحرب قبل توليه الحكم . وكانت قوته على الصبر قد أكسبته لقب الحمار ، لا على سبيل السخرية ، بل اعترافا بقوته الجسدية والارادية . وعرف عن مروان حبه لجنده ورغبته في العيش معهم في السلم أو الحرب . وكانت الاضطرابات منتشرة عندما تولى مروان الحكم فانصرف للقضاء عليها . وكانت حمص ثائرة فهدأ مروان ثورتها . وقد أشغلت ثورات الخوارج في الجزيرة والحجاز وغيرها كثيرا من أوقات الخليفة .

---

(١٦) أيضا ، ج٣ ، ص١٤٥-٦ .
(١٧) اليعقوبي ، ج٣ ، ص٧٢ .

وينسب الى مروان أنه أنشأ نظام الكراديس ، وهي وحدات من الجيش صغيرة كانت أكثر تماسكا فيما بينها وأسرع حركة •

وعمل مروان على احلال نظام الكراديس محل نظام الصفوف الطويلة الذي كان فيه الجند يحاربون على شكل صفوف طويلة طبقا للعادة العربية القديمة • وكانت القبائل تؤلف فرق الجيش في النظام القديم ، وأخذ النظام المذكور بالانحلال وحلت محله فرق بالمعنى الحقيقي لتكون صلب الجيش • وحل القواد المحترفون محل رؤساء القبائل • ويبدو أن دخول التغييرات المذكورة سبق عهد مروان ، ولكن تطبيقها والاستفادة من مزاياها كانا في عهده •

ولم يسلم مروان بن محمد ، شأنه شأن الكثير من خلفاء بني أمية ، من التعصب والمنازعات القبلية • فمال الى القيسيين واستعان بهم في حكم الدولة ، بينما أبعد اليمانيين عن الحكم فأثار حفيظتهم عليه من جهة ، وأذكى نار الحقد بينهم وبين القيسيين من جهة أخرى •

وارتكب مروان خطأ كبيرا في تفضيله الاقامة في حران على دمشق• وقد جر هذا على مروان عواقب خطيرة ، ذلك أنه بعد حرمان دمشق من مكانتها ، أحس الشام كله ـ عدا الاجزاء الشمالية ـ أنه أيضا قد انتزعت منه السيادة • ونتيجة لذلك أعاد كثير من أهل الشام النظر في ولائهم للخليفة مروان ، وأيدوا الطامعين من بني أمية في الخلافة[١٨] •

الحالة في خراسان وأثرها في تأييد الخراسانيين لدعوة بني العباس :

كانت الاغلبية العظمى من سكان خراسان من الموالي (المسلمون غير العرب) • وكان مركز الموالي الاجتماعي دون مركز العرب • أما حالتهم الاقتصادية فلم تكن تبعث على الرضا ، اذ لم يساو الامويون ، ما

---

(١٨) فلهاوزن ، الدولة العربية وسقوطها ، ص٣٦٧ـ٨ •

عدا عمر بن عبدالعزيز ، بينهم وبين غيرهم في دفع الضرائب • ولم يعفهم دخولهم الاسلام من دفع الضرائب التي كانوا يدفعونها قبل اسلامهم • وحرم مقاتلة الموالي ، فضلا عن ذلك ، في أغلب عهود الدولة الاموية من الرواتب السنوية (الاعطيات) التي يتقاضاها الجنود حسب النظام الذي وضعه عمر بن الخطاب • وحاول المختار ومن بعده عمر بن عبدالعزيز أن يساوي بين المحاربين العرب والموالي في العطاء ولكنهما لم ينجحا ، لان من جاء من بعدهما من الحكام لم يتقيد بتدابيرهما في هذا الخصوص •

أما حالة الموالي السياسية ، فانها لم تكن تبعث على الرضا ، اذ حرمهم الامويون من الوظائف العالية في الدولة أمثال وظائف الجيش والقضاء • ان ما قلناه عن الموالي لا يقتصر على سكان خراسان منهم ، بل يصدق على جميع الموالي في عهد الامويين •

وقد حاول نصر بن سيار ، آخر ولاة بني أمية في خراسان ، أن يصلح نظام الضرائب في ولايته ، ولكن تدابيره جاءت متأخرة من جهة ، وان اصلاحاته أضرت بالمصالح الخاصة للدهاقين (رؤساء القرى) من جهة أخرى ، فلم تساعد على ازالة أسباب تذمر الموالي ، ولهذا لم تستطع تلك التدابير أن تثنيهم عن تأييد الدعوة العباسية التي كان قادتها يعملون بجد حينذاك لاسقاط الدولة الاموية •

وقبل أن نشير الى اصلاحات نصر بن سيار المالية ، يجب أخذ النقاط التالية بنظر الاعتبار :

أ ـ ان العرب استندوا ، في الغالب ، الى أنظمة الضرائب السابقة ولم يحدثوا فيها تغييرات أساسية •

ب ـ عندما فتح المسلمون خراسان عقدوا مع أمراء المقاطعات والمدن اتفاقيات تعهدوا بموجبها أن يدفعوا ضريبة سنوية مشتركة تسمى مرة

جزية ، ومرة وظيفة ، ومرة خراجا ، ومرة أتاوة .

ج - ونتيجة لوجود الاتفاقات المذكورة في (ب) لم يكن هناك ، قبل عهد نصر بن سيار تفريق واضح بين ضريبة الجزية (ضريبة الاشخاص) وبين ضريبة الخراج (ضريبة الارض) .

وعمل نصر بن سيار على وضع يقضي بأن يجبى الخراج بالمقدار الثابت الذي تقرر على المدن والنواحي ، كل على حدتها ، ومن الارض وحدها ، وعلى هذا حدد مقدار الخراج من جديد ، وصار يؤخذ من جميع ملاك الارض بحسب ما يملكونه ، سواء كانوا مسلمين أو كانوا رعايا غير مسلمين خاضعين للدولة الاسلامية . ولما كان الخراج يؤخذ من عين الارض لا من الشخص الذي يملكها ، فلم يكن في ذلك ما يشعره بالصغار . وقد حدث مع ذلك جنبا الى جنب فصل تام بين خراج الارض فأصبح وحده هو الذي يسمى خراجا - وبين ضريبة الرأس التي بقي لها اسم الجزية(١٩) .

ونتيجة للنظام السابق الذي وضعه نصر ، أصبح الفرد يدفع ضريبة الخراج على مساحة الارض التي يملكها ، فتزيد تلك الضريبة ان كان يملك أرضا واسعة وتقل ان كان يملك أرضا صغيرة المساحة . بينما كان الافراد فيما سبق ، رغم تفاوت مساحة ملكياتهم ، يدفعون ضرائب متساوية المقادير لان الضريبة المفروضة على القرية أو المدينة تقسم حسب اتفاقيات الفتح على عدد سكانها بما فيهم المسلمون . ولما كان الدهاقين يملكون ، في الغالب ، مساحات أكبر مما يمتلكه الفلاحون الاعتياديون ، أصبحوا بموجب نظام نصر يدفعون ضريبة أكبر مقدارا مما يدفعه أولئك الفلاحون . ونتيجة لذلك تذمروا من النظام الجديد وأخذوا ينضمون

---

(١٩) فلهاوزن ، الدولة العربية وسقوطها ، ص٤٥٥-٦ .

للدعوة العباسية التي كانت بدورها السري حينذاك .

أما ضريبة الرأس ، التي كانت تختلف في المقدار ، وكان ما يتحصل منها يقل عاما بعد عام كلما زاد عدد الداخلين في الاسلام ، فقد صارت بابا يمكن الاستغناء عنه في الخراج الثابت للدولة ، وخصوصا انها أسقطت عن المسلمين بالكلية وأصبحت تؤخذ من غير المسلمين فقط .

وهكذا وفق نصر لتلبية مطالب الاسلام التي لا تبيح أخذ الجزية من المسلم ، كما أنه خفف عن كاهل الفلاحين حين ألزم الدهاقين بدفع ضرائب عن ملكياتهم حسب مساحتها . وكانت تدابير نصر فيما يتعلق بالجزية شبيهة الى حد كبير بتدابير عمر بن عبدالعزيز التي أخفقت من قبل نتيجة لاسباب كان من بينها امتناع خلفائه من قبولها .

وفي الوقت الذي كانت فيه تدابير نصر المالية توضع موضع التنفيذ ، كان دعاة بني العباس يعملون على تقويض أركان الدولة الاموية في خراسان .

وكانت موجة التذمر من السياسة الاموية في تلك الولاية قد بلغت أشدها ، وأخذ الاستياء ينتقل من صفوف الطبقة العامة الى صفوف الطبقة الارستقراطية ، خصوصا بعد تنظيمات نصر بن سيار المالية ، تلك التنظيمات التي جردت الدهاقين من كثير من امتيازاتهم الاقتصادية ، كما سبق أن شرحنا ذلك قبل قليل .

وتسربت الدعوة الرامية لارجاع الحكم الى آل بيت الرسول (ص) من العراق مركز الشيعة الى خراسان . وانضم أنصار العلويين ، وخاصة الزيدية منهم ، الى الدعوة الجديدة التي أسندت قيادتها في هذا العهد الى

أبي مسلم الخراساني • وتمكن أبو مسلم بدهائه أن يخفي نواياه الحقيقة تلك النوايا الرامية لتوجيه الدعوة لبني العباس دون غيرهم من آل النبي (ص) • وانخدع الشيعة بما كان يظهره أبو مسلم وأيدوه بصورة فعالة• ويقول فلهاوزن ، في معرض كلامه عن تأييد أهل خراسان لثورة يحيى ابن زيد ، وما أثاره استشهاده من سخط لدى الجميع « واذا كان أبو مسلم قد ظهر بمظهر المطالب بثأر يحيى ، فانه كان لا شك يعلم تأثير ذلك في النفوس ، وهو بذلك ضرب نغمة وجدت صدى عند الجميع » • ويستمر فلهاوزن بكلامه عن علوي آخر ثار على بني أمية ولما فشلت ثورته ذهب الى خراسان بحثا عن مكان أمين ، فيقول « ولكن أخطأ ظنه [العلوي] في أبي مسلم ، لان أبا مسلم لم يكن عنده مكان لعلوي حي اكثر مما كان عنده لعلوي ميت ، فدس على ابن معاوية [عبدالله بن معاوية بن جعفر] من قضى عليه سرا »[20] •

ويقول هنري ماسيه ، في معرض كلامه عن الدعوة الشيعية واستغلال العباسيين لها : « ولكن أشياع العلويين اضطروا مرة أخرى أيضا ، وسيدركون ذلك بعد فوات الاوان ، الى أن يعملوا في سبيل آخرين ••• »[21] •

ولم تظهر مقدرة أبي مسلم في كسب أنصار العلويين للقضية العباسية وحسب ، بل انه استطاع أن يجذب أكثرية أهل خراسان الى جانبه • ذكر الطبري أن ابراهيم الامام أمر أبا مسلم بالذهاب الى شيعته في خراسان ، وأمرهم باظهار الدعوة والتسوية فقدم أبو مسلم الى مرو يحمل كتابا الى سليمان بن كثير الخزاعي « فنصبوا أبا مسلم وقالوا رجل

---

(٢٠) فلهاوزن ، الدولة العربية وسقوطها ، ص٤٧٤ •
(٢١) الاسلام ، ص٧٣ •

من أهل البيت فوافاه في يوم واحد أهل ستين قرية »[٢٢] .

وبعد أن استكمل أبو مسلم استعداده في خراسان هاجم والـــي الامويين هناك وقضى على مقاومته . ثم وجه جيشا للعراق فاحتل الكوفة . وبعد فترة أعلن أنصار بني العباس قيام الدولة العباسية التي عمل حكامها على دحر الامويين بقيادة الخليفة مروان بن محمـــد في معركـــة الزاب الشهيرة التي جرت في الحادي عشر من جمادي الآخرة سنة ١٣٢هـ .

---

(٢٢) تاريخ الرسل والملوك ، ج٩ ، ص٨٣ .

المصادر

١ ـ ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم . الخراج . (القاهرة ، ١٣٥٢هـ) .

٢ ـ ابن الأثير ، علي ابن ابي الكرم ، الكامل . (القاهرة ، ١٢٩٠هـ) .

٣ ـ الأزرقي ، تاريخ مكة . (القاهرة ، ١٩٣٠هـ) .

٤ ـ الأصفهاني ، ابو الفرج ، الأغاني ، ج٢ . (القاهرة ، ١٣٢٣هـ) .

٥ ـ البخاري ، الصحيح ، ج٤ (القاهرة ، ١٩٣٢م) .

٦ ـ البلاذري ، احمد بن يحي ، فتوح البلدان . (القاهرة ، ١٩٣٢م) .

٧ ـ الجاحظ ، عمرو بن بحر ، البيان والتبيين . (القاهرة ١٩٢٨م) .

٨ ـ ابن خلدون ، عبدالرحمن ، المقدمة . (القاهرة ، ١٩٣٠) .

٩ ـ ٩ ـ الديلمي ، محمد ، ارشاد القلوب ، ج٢ . (بيروت ، لا.ت).

١٠ـ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج١ . (حيدر آباد ، ١٣٣٣هـ) .

١١ـ الزرنوجي ، تعليم المتعلم . (القاهرة ، لا.ت) .

١٢ـ السخاوي ، محمد بن عبدالرحمن، الأعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ. (القاهرة ، ١٣٤٩هـ) .

١٣ـ ابن سعد ، الطبقات . (ليدن ، ١٣٢٢هـ) .

١٤ـ السهمي ، تاريخ جرجان . (حيدر آباد ، ١٩٥٠) .

١٥ـ الشافعي ، محمد بن طلحة ، مطالب السؤال في مناقب آل الرسول (طهران ، ١٢٧٨هـ) .

١٦ـ الشهيد الثاني ، زين الدين العاملي ، منية المريد في آداب المفيد والمستفيد . (طهران ، ١٣١٤هـ) .

١٧ـ ابن طاووس ، علي بن موسى ، فرج المهموم في معرفة علم النجوم . (النجف ، ١٣٦٨هـ) .

١٨ـ الطبرسي ، الحسن رضي الدين ، مكارم الأخلاق . (القاهرة ، ١٣١١هـ) .

١٩ـ الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك . (القاهرة ، ١٩٣٩م) .

٢٠ـ الطبري ، محمد بن جرير ، التفسير ، ج١ . (القاهرة ، ١٣٧٤هـ) .

٢١ـ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٢ . (القاهرة ، ١٢٩٣هـ) .

٢٢ـ العسقلاني ، ابن حجر ، شرح البخاري ، ج١ . (القاهرة ، ١٣١٩هـ) .

٢٣ـ الغزالي ، محمد بن محمد ، احياء العلوم ، ج١ . (القاهرة ، ١٩٣٣م) .

٢٤ـ الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب ، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس . (القاهرة ، ١٣٥٦هـ) .

٢٥ـ الكشي ، محمد بن عمر ، الرجال . (كربلاء ، لا.ت.) .

٢٦ـ الكلبي ، هشام بن محمد ، الأصنام . (القاهرة ، ١٩١٤م) .

٢٧ـ الكليني ، محمد بن يعقوب ، الكافي . (تبريز ، ١٣١٢هـ) .

٢٨ـ المجلسي ، ممحد باقر ، بحار الأنوار ، ج١ . (طهران ، ١٣١٥هـ) .

٢٩ـ المسعودي ، علي بن الحسين ، مروج الذهب (القاهرة ، لا.ت.) .

٣٠ـ المفيد (الشيخ) الأرشاد (طهران ، ١٣٧٧هـ) .

٣١ـ المفيد (الشيخ) الفصول المختارة من العيون والمحاسن ، ج٢ . (النجف ، لا.ت) .

٣٢ـ المنقري ، نصر بن مزاحم ، واقعة صفين . (القاهرة ، ١٣٦٥هـ) .

٣٣ـ النوبختي ، الحسن بن موسى ، فرق الشيعة . (استانبول ، ١٩٣١م) .

٣٤ـ ابن هشام ، عبد الملك ، السيرة . (القاهرة ، ١٩٣٧م) .

٣٥ـ اليعقوبي ، احمد بن واضح ، التاريخ . (النجف ، ١٣٥٨هـ) .

المراجـع

أ ـ المراجع العربية .

١ ـ جبور ، جبرائيل ، عصر ابن ابي ربيعة ، ج١ . (بيروت ، ١٩٣٠م) .

٢ ـ حسن ، ابراهيم حسن ، النظم الأسلامية . (القاهرة ، ١٩٣٩م) .

٣ ـ حسين طه ، الفتنة الكبرى ، ج١ . (القاهرة ، ١٩٤٧م) .

٤ ـ الحوفي ، احمد ، الحياة العربية في الشعر الجاهلي ، ج١ . (القاهرة ، ١٩٤٩م) .

٥ ـ الحيدر آبادي ، حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية (القاهرة ، ١٩٤١م) .

٦ ـ الدوري ، عبدالعزيز ، العصر العباسي الأول (بغداد ، ١٩٤٥م) .

٧ ـ الدوري ، عبدالعزيز ، مقدمة في تاريخ صدر الأسلام . (بغداد ، ١٩٤٩) .

٨ ـ العسكري ، مرتضى ، عبدالله بن سبأ . (القاهرة ، ١٣٨١هـ) .

٩ ـ علي ، امير ، مختصر تاريخ العرب . (بيروت ، ١٩٦١م) .

١٠ـ علي ، جواد ، تاريخ العرب قبل الأسلام ، ج١ . (بغداد ، ١٩٥٠م) .

١١ـ العلي ، صالح احمد ، محاضرات في تاريخ العرب . (بغداد ، ١٩٥٢م) .

١٢ـ كاشف الغطاء ، محمد حسين ، اصل الشيعة واصولها . (بيروت ، لا.ت) .

١٣ـ كولد زيهر ، اجناس ، العقيدة والشريعة في الأسلام ـ ترجمة محمد يوسف وعبدالعزيز عبدالحق . (القاهرة ، ١٩٦١م) .

١٤- فلهاوزن ، يوليوس ، الدولة العربية وسقوطها - ترجمة عبدالهادي ابو ريدة • (القاهرة ، ١٩٥٨م) •

١٥- فلهاوزن ، يوليوس ، الخوارج والشيعة - ترجمة عبدالرحمن بدوي • (القاهرة ، ١٩٥٨م) •

١٦- ماسيه ، هنري ، الأسلام - ترجمة بهيج شعبان • (بيروت، ١٩٦٠م)•

١٧- الهاشمي ، علي ، المرأة في الشعر الجاهلي • (بغداد ، ١٩٦٠م) •

ب - المراجع الأجنبية :

Lewis, B., The Arabs in History, New York, 1950.

Gibb, H. A. R., And Kramers, J. H. eds. "Umar Ibn Al-Khattab", Shorter Encyclopaedia of Islam.

ج - المجلات :

Hamidullah, M., "The Educational System in the Time of the Prophet," Islamic Culture, Vol. 13, No. 1 January, 1939.

للمؤلف

١ ـ تاريخ البرامكة (نفد) .
٢ ـ تاريخ الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ (نفد) .
٣ ـ تاريخ العرب الفه بالاشتراك مع احد الزملاء .
٤ ـ الجغرافية المتوسطة الفه بالاشتراك مع لجنة .
٥ ـ مرشد طالب البكالوريا الى الجغرافية المتوسطة الفه بالاشتراك مع احد الزملاء .

٦ ـ مشاهداتي في تركية .
٧ ـ مشاهداتي في ايران .
٨ ـ تاريخ العرب الفه بالاشتراك مع لجنة .
٩ ـ الأجازات العلمية عند المسلمين .
١٠ـ مشكلة الأراضي في لواء المنتفك (الناصرية) .
١١ـ محاضرات في تاريخ صدر الأسلام والدولة الأموية .

من كتب المؤلف المعدة للطبع

١٢ـ تاريخ التربية عند الأمامية بين عصري الأمام الصادق والشيخ الطوسي (اطروحة للدكتوراه قدمت للجامعة الأمريكية ببيروت) .
١٣ـ تاريخ الشيعة في عهد الخلافة العباسية .
١٤ـ تدوين التاريخ عند المسلمين .
١٥ـ الحالة الثقافية في الحجاز في عصر الرسالة .
١٦ـ السلطة بين الخلفاء والأمراء في عهد الخلافة العباسية .

دراسات في المجلات

١ ـ « تدوين التاريخ عند المسلمين » مجلة الأستاذ تصدرها دار المعلمين العالية ببغداد • المجلد الرابع ١٩٥٥م •

٢ ـ أ ـ « تدوين التاريخ عند المسلمين » مجلة الأستاذ تصدرها دار المعلمين العالية ببغداد • المجلد الخامس • ١٩٥٦م •

ب ـ نقد وتعليق على كتاب « محاضرات في تاريخ العرب » للدكتور صالح احمد العلي •

٣ ـ « الحالة الثقافية في الحجاز قبيل الأسلام » مجلة الأستاذ • تصدرها كلية التربية ـ جامعة بغداد • المجلد العاشر ١٩٦٢م •

٤ ـ « الزراعة والتجارة في العراق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر » مجلة الأستاذ • العدد الحادي عشر ، ١٩٦٣م •

٥ ـ « التعليم في عهد الرسول والخلفاء الراشدين » مجلة الأستاذ العدد الثاني عشر ١٩٦٤م •

٦ ـ اضواء على مشلات الأصلاح الزراعي في لواء الناصرية • من الأبحاث المقدمة الى المؤتمر الشعبي لمناقشة مشاكل الأصلاح الزراعي ومعالجتها ١٥ ـ ١٧ آب ١٩٦٣م •

٧ ـ « العقل عند الغزالي » مجلة رسالة الأسلام ـ تصدرها كلية اصول الدين ببغداد • العدد الثالث ١٩٦٦م •

٨ ـ « دور الأمام الصادق في التربية والتعليم عند الأمامية » رسالة الأسلام ـ تصدرها كلية اصول الدين ببغداد العددان الخامس

والسادس ١٩٦٦م •

٩ ـ « كتب الأمالي عند الشيعة الامامية » بحث ألقي في المؤتمر الثقافي لجمعية الرابطة الأدبية في النجف الأشرف • نشر ملخصه بكراس اصدرته الجمعية المذكورة (النجف ، ١٩٦٦) •

١٠ـ « الخلافة العباسية في العهد البويهي » مجلة رسالة الأسلام • تصدرها كلية اصول الدين ببغداد • العددان الأول والثاني ١٩٦٧م •

١١ـ « الخلافة العباسية في عهد السلاجقة » مجلة رسالة الأسلام • تصدرها كلية اصول الدين ببغداد • العددان الثالث والرابع ١٩٦٧م•

فهرست المواضيع